كيف يتحقق

الأمن والأمان؟

ورسائل أخرى مهمة

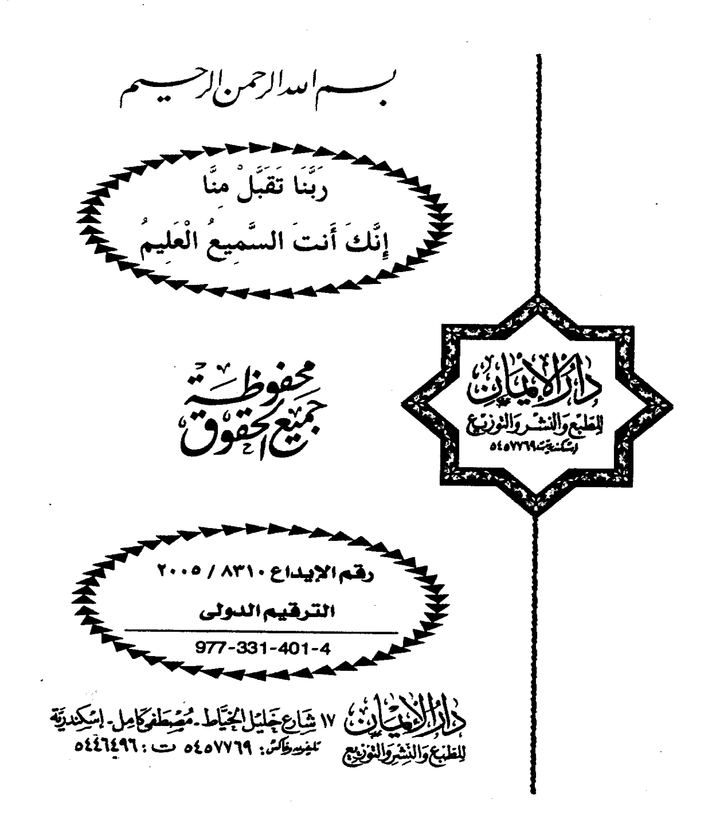
فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين







بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٨٣١٠ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى
977-331-401-4

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فما من نبيٍّ إلاَّ وبُعث بلسان قومه ليُبيِّن لهم، وقد أُمرنا أن نُخاطب الناس على قدر عقولهم، فما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة، ومن المعلوم أن خطاب الكبير يفترق عن خطاب الصغير، والعالِم يفترق عن الجاهل..

والأسلوب المستخدم في الخطبة يختلف عن أسلوب البحث والتأليف، وكل ذلك يتم دون تغيير أو تبديل ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [يونس: ١٥]، فما يسع أحداً مصادمة نصوص الشريعة لا في بداية الطريق ولا في نهايته، ولا في الوسيلة والغاية.

وقد يلجأ الإنسان إلى الإجمال تارة وإلى التفصيل تارة

أخرى، ولكل مقام مقال، فأحيانًا تجد العالم يفسر ويوضح مفردات الكلمات ويكتفي بذلك، وأحيانًا أخرى يعقد بحثًا في تفسير الآية كما صنع القرطبي في تفسير آيات الأحكام، فإذا مرّ بآية فيها ذكر البيع أو الربا أو الطلاق.. تكلّم على تفاصيل البيوع والطلاق والربا، مما نجده في كتب الفقه، وكما صنع القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨]، فقد عقد بحثًا في نحو مئة صفحة في تفسير الآية يتعلق بموضوع الإيمان والكفر، وذلك في كتابه «محاسن التأويل».

والناس يحتاجون لهذا وذاك، وما لا يتناسب مع هذه الفئة قد يتناسب مع الفئة الأخرى، والمهم إبلاغ الحق للخلق، واستفراغ الوسع في العلم النافع والعمل الصالح وتعبيد الدنيا بدين الله، وتضافر الجهود على ذلك، فمن الناس من يصلح للتدريس للمرحلة الابتدائية، ومنهم من يصلح خطابه لطلاب الجامعة، وكلاهما يُسدي نفعًا وخدمة ويسُد ثغرة، وقد لا يستطيع الأول القيام بدور

الثاني، والثاني لا يُحسن في موضع الأول، وحسْب الجميع أن يُخلص عمله لله، و أن يحرص على إتقان مهمته ودوره، ولا يُبالي إن وضعوه في المقدمة أو في المؤخرة، فالسهم الواحد ثلاثة يدخلون به الجنة، والدال على خير كفاعله.

وكل مسلم ينبغي عليه أن يكون له دور في النهوض بواجب الدعوة، سواء بماله أو دعائه، بشعره أو نثره، بخطبته أو درسه، بتعاهده الصغار أو الكبار، بسلوكه وقوله، وينهج في ذلك كله منهج الأنبياء والمرسلين، ويستخدم لذلك الأساليب المباحة والمشروعة كالشريط والكُتيب، والدلالة على الدرس النافع المفيد..

ودور المسلم لا ينبغي أن يقل عن دور الهدهد الذي أتى نبيّ الله سليمان عليه السلام يقول له: ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)** ﴾ [النمل: ٢٢]، فهو في طيرانه بحثًا عن الماء لا ينسى دعوته، وكذلك أنت لا تنسَ وظيفتك الحقيقية في إبلاغ دين الله، حتى وإن كنت طبيبًا أو مهندسًا أو عاملاً أو طالبًا.

ولعل الله أن يبارك في دعوتك حتى وإن كنت مغموراً، كما بورك في دعوة صاحب يس، وأصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون، وعبد الله الغلام، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ورُبّ مُبلّغ أوعى من سامع، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ولأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم.

ولا يليق بك مع علو همتك أن تبذل لدعوتك فتات وقتك، فالليل والنهار يصلح مجالاً للدعوة، وأقل القليل يُحدث أثرًا بفضل الله، ونحن لا نحرث في البحر، ولا نُؤذن في مالطة أو في خرابة؛ فالاستجابة تفوق الخيال، وإقبال الناس على طاعة ربهم يحفز النفوس الهامدة على بذل الوسع.

وقد رأيت أن أصنع ما صنعه بشر الحافي في تبسيط الوعظ القديم عندما قال: إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء، فبينما هي في يوم من الأيام، إذْ أخذت بفمها حبة وجاءها عصفور، فأخذها هي والحبة، فلا ما جمعت أكلت ولا ما أمّلت نالت.

وهذا مثال للموت الذي يأتي بغتة، وقد أُمرنا بالإكثار من ذكره، وإذا كان البعض يصف شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه رجل خاصة، وابن القيم بأنه رجل عامة، فأين دورك أنت وخصوصًا ودعوتك دعوة عالمية، لا تقتصر على الملتحين والمنقبات، ولا على حيز المسجد ولا على الخطبة والدرس، ونحن نريد العودة بالنفس وبالأمة من حولنا لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فكان لابد من الارتفاع لمستوى هذه الدعوة المباركة واغتنام كل الفرص وتوجيه الدعوة لكل الفئات والطبقات.

وقد طرحتُ ما يُقارب المئة عنوان، تصلح للخطبة والدرس والوعظ والتذكير، وكان الغرض في البداية نزولها كمطويات مختصرة لا كأبحاث مطوّلة، وقد لاقت رواجًا وقبولاً بفضل الله، ولكن ظهرت الصعوبة – مع هذا العدد الكبير – في الطبع والتوزيع والنشر؛ ولذلك رأينا وضع هذه العناوين في مجلدات صغار عساها تؤدي نفس الفائدة والغرض.

والله نسأل أن ينفعنا وإياكم بها ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ**

(٨٨) إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]
وما كان فيها من صحة وصواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ وقصور فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه
سعيد عبد العظيم
يغفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

كيف يتحقق الأمن والأمان

في ظل الطغيان المادي المعاصر؟!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فالأفراد والدول والجماعات - هنا وهناك - وفي هذا العصر - وكل العصور - ينشدون الأمن والطمأنينة، وأن تكون بلدانهم واحة للأمن والأمان.

ولم تجد الكثرة من هؤلاء سبيلاً لتحقيق هذا المطلب الغالي إلاَّ عن طريق القوة المادية المتمثلة في جيوش الشرطة والمباحث وسائر الأجهزة، واستخدموا من أجل ذلك النصائح والتحذيرات والأعمال السرية والعلنية، وأجهزة التنصت والتجسُّس؛ لطمأنة النفوس، وحفظ المجتمع من

انتشار الجرائم، ولتحقيق الأمن الاجتماعي والصناعي . . .

كما انتشرت شركات التأمين التي أسسها اليهود مصاصو دماء الشعوب، وكثُرت المصحات النفسية لعلاج أجيال القلق والضياع الفكري.

وقد وجد هؤلاء أن الإنسان المعاصر تائه خائف، يُنشد أمنًا لا يجده، فالمناهج الفكرية والفلسفية الموجودة لا تُلبي رغبة ولا تريح نفسًا ولا تُحقق هدفًا، فهي حالة من حالات الخوف على المصير ومن المستقبل.

فقد ازدادت نسبة الحوادث والجرائم، بل أصبح الناس يخاف بعضهم بعضًا، ويخافون الكوارث والأمراض والرياح والمطر والأعاصير، يخافون من الإيدز والسرطان.

كما يخافون من انتشار أسلحة وعلوم الدمار والتخريب، ولذلك أطلقوا على هذه الحضارة المزعومة اسم حضارة القلق، وكيف يطمئن أمثال اللاأدرية؟! ومن أمثالهم إيليا أبو ماضي وهو يقول:

جـــئـت من أيـن ولكـنـي أتـيـت
ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت

فهـو لا يدري من خالقه ولماذا خلقه وإلى أين المصير، ويقول الثاني:

قـــــدر أحـــــمـق الخـطـى
ســحـــقـت هـامــتي خـطـاه

ونحن لا نستغرب هذا القلق وهذا الاضطراب، وهذا الخوف الذي يسيطر على الدول والأفراد، بل نرى أنَّ هذا نتيجة حتمية لقصور مفهوم الأمن والبعد عن حياة الإيمان، فليس كل من يتمنى الخير يُدركه، ولا تكفي النوايا الطيبة، ولكن لابد من الاستقامة وصحة العمل، وأن نأتي البيوت من أبوابها.

إن الأمن الذي تبحث عنه النفوس محوره الإيمان الذي مقره القلب وتستقيم على أساسه الجوارح، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها كالأمن الصحي والأمن النفسي والأمن الغذائي والأمن الاقتصادي والأمن الأخلاقي، أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه كالأمن في الأوطان،

والأمن على الأعراض، والأمن على الأموال والممتلكات، أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله ونقمته بامتثال أمره وطاعة رسوله، واتخاذ طريق المتقين مسلكًا واستجلاب رحمة الله، والأمن من عذابه في نار جهنم .

هذه الحاجات وهذه الضرورات قد لا ندركها إلاَّ بفقدان أو نقصان مرتبة من مراتب الأمن، فعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نعمتان مغبون فيهما الصحة في الأبدان والفراغ**» [رواه البخاري]، وجاء في الأثر: «**الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان**» .

والنفس لا تطمئن إلاَّ إذا آمنت بقدر الله، واستسلمت لقضائه سبحانه وعلمت أن المرجع والمآب إليه سبحانه، ولا يمكن أن يسعد البشر إلاَّ بإسلام الوجه لله تعالى ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)** ﴾ [الملك: ١٤].

فالإسلام إنما هو لمصلحة النفس ولما يسعدها، ويُحقق لها الأمن بمفهومه الصحيح، بعكس الوعود والخيالات في

الأنظمة هنا وهناك لعلمهم أنَّ الأمن والأمان من المطالب الملحة للبشر في كل زمان ومكان، ولكنها لا تزيد على كونها شعارات وهتافات وتجارات عند هؤلاء المحترفين، يُتاجرون بها على أدمغة البشر، وإلاَّ ففاقد الشيء لا يعطيه، وهؤلاء لم يمنعوا المعاصي ولا الفجور، ولم يُقيموا الدنيا على أساس من دين الله.

وصدق من قال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يُحيي دينًا

يقول تعالى: ﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)** ﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

ويقول سبحانه: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)** ﴾ [الأعراف: ٩٦].

في أمريكا وجدوا مجرمين متأصلين في الإجرام، ومن أصحاب السوابق قد أسلموا داخل السجن، فصلحوا، ولم

يعودوا للسجن بعدما خرجوا منه، أما من خرج وهو على ديانته السابقة فإنه لا يلبث حتَّى يعود إلى السجن مرات، ولذلك يوجهون الدعوات للمشرفين والدعاة المسلمين للزيارة وإعطاء المحاضرات.

ويقول بعض المسئولين عن الأمن عندهم: إن الخلاص من الجريمة لا يكون إلاَّ على الإسلام والعمل وفق منهجه.

وقد خرجت دراسات الغرب تقول: «إنَّ المسلمين لا يعيشون الاضطرابات المتعددة التي وقع فيها أبناء الغرب».

فالانسجام التام بين السُّنن الشرعية والسُّنن الكونية والروح والجسد، وبين الظاهر والباطن، العلم والعمل، والدنيا والآخرة والأرض والسماء، وبين هذا المخلوق والكون حوله، كل هذا لا يمكن أن نجده إلاَّ بعد الدخول في الإسلام وفهمه جيداً وتطبيقه، فلا تنافر ولا نفور بين الدين والدولة، ولا بين الساعات وبعضها وبعض.

والحدود والتشريعات في الإسلام بمثابة راحة للنفس، ولا تكون إلاَّ بالإيمان، وإذا كان رخاء المجتمع لا يكون إلاَّ

بالأمان، فالأمان ثمرة من ثمار الإيمان، وقد بُعث النَّبيُّ ﷺ رحمة للعالمين، ودعوته كانت لتأصيل العقيدة والإيمان في النفوس بما يطمئنها ويُريحها.

وفي الشرع سنجد الأصول الستة للإيمان عليها مدار النفس وسعادتها في العاجل والآجل، فعيقدة التوحيد والخوف والرجاء..

كل ذلك من شأنه أن يفترق به المسلم عن الكافر، يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾

[البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فالرضا والاطمئنان يسببه الإيمان عند المؤمن بعكس صبر الكافر فهو بدون احتساب، ويتشابه مع صبر البهائم لما يُحمل عليها من أثقال، ثم الكافر دائم الجزع والتسخط لقضاء الله.

والإيمان لا يحقق الأمان فقط في الدنيا، وإنما تحقيقه لذلك في الآخرة أتم وأكمل؛ فالمؤمنون تطمئن قلوبهم يوم الفزع الأكبر، وهو قبل ذلك: «**إن كان محسنًا قال: عجلوني، عجلوني، وإن كان مسيئًا يصيح يا ويلتاه أين تذهبون بي، فيسمعه كل شيء إلاَّ الثقلين الإنس والجن، ولو سمعوه لصُعقوا**» [رواه مسلم].

وعندما يوضع في قبره، ويرى منزلته تطمئن نفسه – كما ورد في حديث البراء بن عازب وغيره – .

لقد أراد فرعون أن يطمئن على نفسه عند غرقه فقال: ﴿**آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)**﴾ [يونس: ٩٠].

فقيل له: ﴿**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)**﴾ [يونس: ٩١] فهو لم يؤمن في الدنيا ولم يغتنم فرصة التوبة حتَّى يرد على ربه آمنًا.

وفي الحديث: «**تُقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**» [رواه أحمد (٥٨٨٥)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، والترمذي (٣٤٦٠)، وقال: حديث حسن غريب].

فباب التوبة مفتوح حتَّى تتردد الروح في الحلقوم، وحتَّى تطلع الشمس من مغربها.

وقد فتح سبحانه أبواب الرجاء لعباده، فقال: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر: ٥٣].

والأحكام كثيرة وكلها من شأنها أن تشيع الأمن والأمان في النفس والمجتمع، ومن ذلك تحريم الإسلام للأمور التي تتسبب معها الجريمة كالخمر والزنى والربا والميسر، وقد أعطى كل ذي حق حقه، ومنع التعدي والظلم، وقضى على كل الأمور التي تُخل بالأمن، وكانت الحدود فيه بمثابة الروادع والزواجر والجوابر في نفس الوقت.

والقَصاص من أسباب الاطمئنان في المجتمع: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقد حرَّم الإسلام أن يورد الإنسان نفسه موارد الهلكة أو يُحملها فوق طاقتها ونهاه عن قتل نفسه «**من قتل نفسه بشيء فهو يجؤها به في نار جهنم**» [ورد في الصحيحين].

وفيما يتعلق بالمال أَمَرَ بالكتابة والإشهاد والعدالة وتحديد الأجل ومراقبة الله، وتأدية الأمانة، فرأس المال جبان، ولا يطمئن إلاَّ بالأمان، والقضاء على مثيري القلاقل، ولا أقوى من حكم الله ورسوله، وتطبيق الشريعة من شأنه أن يُخيف من تُسوِّلُ له نفسه أن يعمل بمثل عملهم، ومن المعلوم أنَّ النفس لا تُنتج عملاً في جوٍّ مضطرب، وقد أُمِر المسلم أن يُحصِّن ماله بالزكاة وليس بدفع أقساط التأمين .

ولو تأملنا الأحكام التفصيلية لعلمنا كيف يتم تأمين النفوس من التأثيرات الخفيّة كالسحر ووساوس الشياطين بالمعوذتين وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة... والرضا والقناعة بما قسم الله، والأمن الأخلاقي المذكور في أحكام الاستئذان والحجاب.. والأمن الصحي المتمثل في زيارة المريض والرقية والتداوي بالمباحات.. والأمن الزراعي المذكور في سورة يوسف والنحل، وأمن العقيدة المذكور في مثل قوله سبحانه: ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨) ﴾ [الرعد : ٢٨] .

والأمن الأُسري الذي دلّت عليه عشرات النصوص مثل: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)** ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [الروم: ٢١]، وقول النَّبي ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**» [رواه البخاري (١٢١٣)، ومسلم (٣٠٧٦)، كلاهما عن سعد بن أبي وقاص].

إنَّ الأمن يحدث بالمشورة والتوبة والهجرة ومجاهدة الكفار والتوكل على الله، وبالتزام كل أوامره جلَّ وعلا، فكل آدابه عالية؛ لأنها مبعث للأمن، والراحة والاطمئنان في الحياة وبعد الممات في طاعة الله، والإعراض عن ذكره سبحانه هو مبعث الخوف الحقيقي.

والمؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**

فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾

[الأعراف: ٩٧ – ٩٩].

وأمر الله سبحانه وبأسه الشديد لا يمنعه أجهزة الإنذار المبكر ولا الجيوش الجرارة، ولا كل مظاهر الأمن المادي، ونظرة سريعة على ما تُحدثه الزلازل والفيضانات كفيضان المسيسبي والأعاصير كإعصار أندرو في أمريكا وسائر صور الدمار ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)** ﴾ [يس: ٨٢]، وكما قال سبحانه: ﴿ **لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ** ﴾ [هود: ٤٣] سندرك حتمًا لا محالة أنَّ الإيمان هو سبيل تحقيق الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، للأفراد والدول والجماعات، فهيا نصبغ أنفسنا بصبغة الله ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ونطرح عن أنفسنا هذا الطغيان المادي الذي علق بقلوبنا وعقولنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

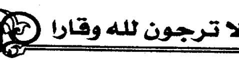
ما لكم لا ترجون لله وقارا ؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فما لكم لا تعرفون لله حقًا، ولا تشكرون له نعمة، وما لكم لا ترجون لله ثوابًا، ولا تخافون له عقابًا، ما لكم لا تخافون لله عظمة وقُدرة على أحدكم بالعقوبة، وأي عذرٍ لكم في ترك الخوف من الله، ما لكم لا توحدون الله، ولا تؤدون لله طاعة، ولا تعلمون لله عظمة، وأنه إلهكم لا إله سواه، وما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يُثيبكم على توقيركم خيراً.

﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** (١٣)﴾ [نوح: ١٣]، كلمة ذكّر بها نبيّ الله نوح عليه السلام قومه، وقد أعقبها بقوله: ﴿**وَقَدْ**



﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⦗١٤⦘﴾ [نوح: ١٤] أي جعل لكم من أنفسكم آية تدل على توحيده.

وقد كان نبيّ الله نوح عليه السلام أطول الأنبياء عمرًا، وأكثرهم جهادًا، تحمّل الكثير من الأذى، وما ترك سبيلاً من سُبل الدعوة إلاَّ وسلكه، دعا قومه ليلاً ونهارًا، وسرًا وعلانية، حتَّى قيل كان يدخل لهم في بيوتهم لدعوتهم، فما وجد منهم إلاَّ صدودًا وإعراضًا، كانوا يضربونه حتَّى يُغمى عليه، فإذا أفاق قال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وقد قام فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا يُذكرهم ويعظهم ويدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي النهاية ما آمن معه إلاَّ قليل.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنهم كانوا ثمانين نفسًا معهم نساؤهم، وهذا العدد على أكثر تقدير. وإلاَّ فالبعض ذكر أن عدد الذين آمنوا معه كانوا عشرة وهم الذين ركبوا معه في السفينة، منهم أولاده: حام، وسام، ويافث ونساؤهم.

وكان بين آدم ونوح عشرة قرون على التوحيد الخالص، ثم طرأ الشرك في قوم نوح ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** (٢٣) **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً** (٢٤) ﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤].

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتَّى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم (أي تقادم) عُبدت.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد.

وقد وردت شريعتنا بتحريم اتخاذ التصاوير والتماثيل، ففي الحديث: « **إنَّ أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون، يُقال لهم : أحيوا ما خلقتم** » [رواه البخاري].

وورد أيضًا فيه: « **إنَّ الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا تماثيل ولا جُنُب** ».



وفي الحديث: «**من صور صورة، عذَّبه الله بها يوم القيامة، حتَّى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**»

[رواه البخاري].

ولما ذكرتا أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما كنيسة بالحبشة يُقال لها ماريا، وما فيها من حُسنها وتصاويرها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**» [رواه البخاري ومسلم].

فلابد من سد الذرائع وصيانة العقيدة؛ حتَّى لا يقع الناس في الوثنية، كما وقع قوم نوح، ثم انتقل الشر والفساد إلى غيرهم، حتَّى صُرفت العبادة للمقبورين، بزعم محبة الأولياء والصالحين، وهذه آفة منتشرة هنا وهناك، فالذبح والدعاء والاستغاثة والنذر والطواف، صار مصروفًا للسيد البدوي ولأبي العباس المرسي....

وما أشبه فعل هؤلاء بصنيع قوم نوح الذين قال لهم: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ لقد أمعنوا في إيذاء نبيّ الله

نوح، واتهموه بالسفه والضلال، والجنون، والجدل، والافتراء على الله، كما هدّدوه بالرجم، وقابلوه بالسخرية والتّهكم، وأنه ما اتّبعه إلاّ أراذلهم، بادي الرأي، إلى غير ذلك من الافتراءات والاتهامات؛ ليوقفوا دعوته، ويقللوا من عزمه، وهي نفس التهم التي وجهها المشركون لرسول الله ﷺ، فقد قالوا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ⁽٦⁾ ﴾ [الحجر: ٦]، وقالوا: ﴿ **إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا** ⁽٨⁾ ﴾ [الفرقان: ٨] وقالوا: ﴿ **هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ⁽٤⁾ ﴾ [ص: ٤].

وقد شارك اليهود والمنافقون في إلصاق التهم برسول الله ﷺ وبصحابته الكرام، ومن ذلك قصة الإفك التي اتهم فيها ابن سلول المنافق، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذا الإفك المبين، وهي الصدّيقة بنت الصديق، والبريئة المبرأة من فوق سبع سماوات، لعلم ابن سلول أن الطعن فيها سينسحب إلى النّبيّ ﷺ وإلى أبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه - ثاني اثنين - كما ينسحب أيضًا إلى عموم المسلمين، وإلى الجانب الأخلاقي في هذه الدعوة، بحيث لا يستطيع أحد أن يرفع رأسه.

وهذا السلاح يستعمله الفجرة إلى يومنا هذا - وفي كل وقت وحين - في وجه الدعاة والمصلحين، حيث يتهمونهم بالرجعية والتخلف والجمود والتطرف، وبأنهم أصحاب حرف خسيسة...

كما اتُهم نبيُّ الله نوح عليه السلام فكانت كلمته لقومه: ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ وهي كلمة نقولها لكل من تشابه مع قوم نوح في أفعالهم، ولكل من لم يعظم حرمات الله، ويرفع رأسه بدين الله، تُقال لأشباه فرعون وقارون وهامان، والنمروذ، وبختنصر، وصاحب الجنتين، وطاغية الأخدود، كما تُقال لأشباه أبي جهل، وأبي لهب، والوليد بن المغيرة، وابن سلول المنافق، فكل هؤلاء لا يرجون لله وقاراً.

وكما قيلت لقوم نوح تُقال لقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب.. وكلٌّ كذَّب الرسل فحق وعيد.

إنَّ الخطاب يعم الأشباه والأمثال، والشرع لا يُفرق بين المتساويين ولا يساوي بين المختلفين.

لا توقير ولا تعظيم عند الملاحدة الشيوعيين الذين

جحدوا وجود الخالق جلَّ علا، وقالوا: إن هي إلاَّ أرحام تدفع وأرض تبلع، عميت بصيرتهم، وانطمست فطرتهم، وأظلمت عقولهم، فإذا كانت الإبرة تدل على صانعها، فإنَّ الخلق يدل على خالقه، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، وسماء ذات أبراج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير، وقد أدرك الأعرابي البسيط أنَّ البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير.

وفي كل شيء له آيه، تدل على أنه الواحد، ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** (٢١) ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** (٣٥) ﴾

[الطور: ٣٥].

هو سبحانه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وهو الذي خلق السماء ﴿ **رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا** (٢٨) **وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا** (٢٩) **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** (٣٠) **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا** (٣١) **وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** (٣٢) **مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** (٣٣) ﴾ [النازعات: ٢٨ - ٣٣].

لم يرجو لله وقاراً من قال إنَّ الله ثالث ثلاثة، وجعل لله تعالى الصاحبة والولد، وزعم أنَّ الإله يموت، وأنه مكَّن أعداءه من صلبه وإلباسه إكليل الغار، وصفعه على قفاه، بزعم أن يتحمل عن البشر خطيئة آدم، بل أعطوا الرهبان الحق في التشريع مع الله، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)** ﴾

[التوبة: ٣٠، ٣١].

وقد وصفت يهود الرب جلَّ وعلا بصفات النقص والعيب، التي ينزه أحدهم نفسه عن الاتصاف بها، ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [المائدة: ٦٤].

وهل وقّر ربه من عبد غير الله، أو شرع مع الله، واستحدث النظم والدساتير والمناهج التي تُخالف كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى: ٤١]، وقال: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** (٥٠) ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** (٤٤) ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٦٥) ﴾ [النساء: ٦٥].

لم يوقر ربه من أظهر الجميل وستر القبيح، كافرًا بالله واليوم الآخر، قال تعالى عن المنافقين: ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ﴾ [محمد: ٣٠]، وما أسرّ عبد سريرة إلاّ أظهرها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، فالحذر من مبارزة الله بالحرب، فالظاهر والباطن لديه سواء، والسر والعلانية عنده سواء، وهو المطلع الرقيب سبحانه.

إذا خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيب

اتق الله حيثما كنت، واستحيي من الله استحياؤك من رجل ذي هيبة وهيئة من صالحي عشيرتك.

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التُقى
واصنع كماشي فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
ولا تحقرنّ صغيرة إنَّ الجبال من الحصى

لم توقر الفرق النارية الضَّالة ربها، عندما خالفت الكتاب والسنَّة، وانحرفت عن منهج أهل السُنَّة والجماعة، ولم تعمل بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فكل من اعتقد بالحلول والاتحاد، أو بسقوط التكاليف أو صرف العبادة للمقبورين، بزعم محبة الأولياء والصالحين، لم يوقر ربه، وكذلك كل من اعتقد بعصمة الأئمة أو التقية، أو الرجعة، أو أنَّ الأولياء أفضل من

الأنبياء، أو أنَّ عليًا أفضل من أبي بكر وعمر، فهو ضال في اعتقاده.

وكذلك لم يوقر ربه من كَفَّر المسلمين بالكبائر، أو قدَّم العقل على نصوص الكتاب والسُّنَّة الثابتة، أو اعتقد أنَّ الكشوفات والمنامات والفتوحات من آلة استنباط الأحكام، فكل هؤلاء جهّال مبتدعة، وما عُصي الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين.

ولما سُئل الإمام سهل: أتعرف شيئًا أشد من الجهل؟، قال: نعم، الجهل بالجهل؛ إذْ أنه يسد باب العلم بالكلية.

لم يوقر ربه من تجاهر بالمعاصي والذنوب، وتمادى في غيّه وظلمه، ومن اعتقد أنَّ الله لا يراه أو جعله أهون الناظرين إليه، ومن مرَّ على مصارع الهلكى ولم يتعظ ولم يرتدع، كل هذه الأصناف تحتاج لمراجعة نفسها، عسى أن تقوى معاني التعظيم للحرمات في حسّها ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)** ﴾ [الحج: ٣٢].

لابد من متابعة صادقة لركب الإيمان، الذين كانوا يرجون لله وقاراً من الأنبياء والمرسلين ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**

فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، لقد قاموا لله بحقه نصحًا وبيانًا، قالوا لقومهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾، وصبروا على الأذى حتَّى أتاهم اليقين غير مغيِّرين ولا مبدِّلين، وامتلأت قلوبهم من محبة الله والتوكّل عليه، والخوف منه سبحانه والرجاء فيما عنده، حتَّى طرحوا المخلوقين من حساباتهم، وكان رضى الله أسمى أمانيهم.

ويقف في مقدمة هذا الركب المبارك، سيد الموقّرين لحرمات الله، والمعظمين للشعائر والشرائع، سيد الأولين والآخرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [الأحزاب: ٢١]، جاهد في الله حقَّ جهاده، وفتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، أكمل له سبحانه الدين وأتمّ عليه النعمة، ورضى لنا الإسلام دينًا.

فمن أراد أن يكون من هذا الصنف المحمود، وممن يرجون لله وقارًا، فعليه أن ينطق بلسان حاله ومقاله أن رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وأن

يتشبه بالصالحين في إحسان المسير إلى الله، كصاحب يس، ومؤمن آل فرعون، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وعبد الله الغلام . . .

ويقتدي بالصحابة الكرام الذين ركبوا سفن الآخرة فكانوا: ﴿ **قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)** ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، جمعوا بين الرغبة والرهبة، كما خلطوا الإلحاف بالمسألة، وكانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلَّها تكلفًا، أثنى عليهم سبحانه من فوق سبع سماوات بقوله: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأثنى عليهم الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بقوله: « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** » [متفق عليه].

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وكما قال الإمام مالك – رحمه الله – : وما لم يكن يومئذ دينًا، فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها.

ولن تبلغ أن تكون ممن يرجـون لله وقـارًا، إلاَّ إذا سلكت مـسلكـهـم، واتَّـبعت طريـقـهـم، فـاسلك طريق الهـدى، ولا يضرك قلَّة السالكين، وإيَّاك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهـالكين، فكل هؤلاء الهلكى ينطبق عليـهـم قـول نوح لقومه: ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾ .

فاللهم حبّب إلينا الإيمان، وزيّنه في قلوبنا، وكرّهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

زحام المحبة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فهل من الممكن أن ترتفع الهمة ونُزاحم الأفاضل في محبتهم لرسول الله ﷺ، هذه المحبة التي أورثتهم صدق المتابعة، وبذلك كانوا سادة وقادة، ودانت لهم الممالك، وفتحوا قصور كسرى وقيصر.

وهل من الممكن أن نتجاسر ونردد ما قاله أبو مسلم -رحمه الله- : «**أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا، فوالله لنزاحمنّهم عليه زحامًا حتَّى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً**».

وأبو مسلم الخولاني، كان مُجاب الدعوة، وهو من أكابر التابعين، وقد صنع الله به مثل صنيعه بنبيّ الله إبراهيم

عليه السلام، فقد أضرم الأسود العنسي له النيران باليمن، وقذفه فيها، فكانت النار بردًا وسلامًا عليه، وكان الأسود قد ادَّعى النُّبوَّة، وسأل أبا مسلم: أتشهد أنَّ محمداً رسول الله؟ قال له: نعم، فقال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال أبو مسلم: لا.

فصنع له هذه النيران، وقيل: كانت الطير لا تمر بجنباتها إلاَّ خرَّت صريعة، فأشار عليه أهل مملكته، أنك إن تركت أبا مسلم في بلادك أفسدها عليك، فأمره بالرحيل، فوصل أبو مسلم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فلقيه عمر رضي الله عنه وقال له: فما فعل عدو الله (أبو الأسود) بصاحبه الذي حرقه بالنار فلم تضره؟. فقال له أبو مسلم: ذاك عبد الله بن ثوب – واستخدم لغة التورية والتعريض– فقال له عمر: ناشدتك الله، أأنت هو؟ قال له أبو مسلم : نعم. فقبّل عمر ما بين عينيه، وأجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتَّى أراني من أمَّة محمد ﷺ من صنع به مثل صنيعه بإبراهيم عليه السلام.

وكان أبو مسلم لا يُجالس أحدًا يتكلم في شيء من أمر

الدنيا إلاَّ تحوّل عنه، وكان يقول: إنَّ لكل ساعة غاية، وغاية كل ساعة الموت، فسابق ومسبوق. وكانوا لربما أرادوا الغزو فيقول لأصحابه أجيزوا بسم الله، من ذهب له شيء فأنا له ضامن، فإذا وقعت مخلاة أحدهم، وجدها مُعلَّقة بأعواد النهر، وكان الصبيان يسألونه أن يحبس الطير عليهم، فيدعو الله فيحبسه عليهم.

لقد رفض أبو مسلم أن يستأثر الصحابة الكرام ﷺ أجمعين برسول الله ﷺ، وأراد أن يزاحمهم في محبَّتهم له صلوات الله وسلامه عليه، لقد أدرك معنى المنافسة الشريفة، وأنه لا إيثار في القُرب والطاعات، وأنَّ السبق سبق الفضل والصفات، وأنَّ من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبُه.

وكما قالوا: إذا رأيت الرجل يُنافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وإن استطعت ألاَّ يسبقك إلى الله أحد فافعل.

وقالوا: إذا رأيت الرجل يُنافسك في الدنيا فألقها في نحره، ونافسه في الآخرة.

لقد علت همة القوم، فكانت هذه هي غيرتهم ومنافستهم، وانحطت همَّة آخرين، فصار التنافس على المناصب والمال والجاه والسلطان، وتبع ذلك صور الغل والحقد والحسد .

كان حاتم الأصم يقول : رأيت الناس يعودون إلى التجارات والحرف والأنساب والأموال، ونظرت في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] قال : فعملت بالتقوى حتَّى أكون كريمًا عنده . ولم يقل سبحانه إنَّ أكرمكم عند الله أقواكم أو أجملكم أو أكثركم عشيرة . .

وهذه الأمة رغم تأخرها في الزمان عن الأمم السابقة، إلاَّ أنها خير أمة أُخرجت للناس، كما قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

لقد كان أبو مسلم صاحب فقه وبصيرة وهمَّة عالية أدرك الباب الذي منه يدخل، وكيف يجوز الفضل بكلتا

يديه، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، لقد التف الأفاضل حول النَّبيّ ﷺ يفتدونه بالغالي والرخيص ويُقدمونه على الأهل والمال، بل وعلى أنفسهم، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرى عقبة بن أبي معيط - أشقى القوم - وقد خنق النَّبيّ ﷺ بطرف ردائه وهو ساجد أمام الكعبة، فيحل وثاقه، ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، فيترك المشركون رسول الله ﷺ وينهالون ضربًا على أبي بكر حتَّى أُغمي عليه رضي الله عنه، وسقطت غدائره، فلما أفاق قال: تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ماذا فعلوا برسول الله ﷺ؟.

ولما قال له عمر رضي الله عنه يوم الحديبية: علام نُعطي الدنية في ديننا، أوَلسنا على الحق؟ أوَليس رسول الله حقًا؟ فقال له أبو بكر: الزمْ غرزه؛ فإنه على الحق.

وجاءه المشركون يوم الإسراء يقولون له: إنَّ صاحبك يزعم أنّه قد عُرج به إلى السماء، فما زاد على قوله: إن كان قال فقد صدق، فوالله إني لأصدقه في أكثر من ذلك، أصدقه في خبر السماء.

ثم يوم الهجرة جعل أبو بكر يتذكّر الرصد فيمشي أمام النَّبيِّ ﷺ، ويتذكر الطلب فيتحول خلفه، ويسير عن يمينه تارة وعن شماله تارة أخرى، كل ذلك مخافة أن يُصاب النَّبيِّ ﷺ بأذى، ولما دخل الغار جعل يسد الشقوق بيديه ورجليه وثوبه ويقول: إنْ أهلك أهلك وحدي، وإن تهلك تهلك معك الدعوة.

وتوفيَ رسول الله ﷺ وارتدَّ من ارتدَّ من العرب، فانتصب أبو بكر يقول: أينقص الإسلام وأنا حيّ؟ ولما راجعه البعض في إنفاذ بعث أسامة، قال: والله لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ.

ولما قُبض على خبيب بن عدي سألهم أن يُصلي لله ركعتين، ثم علقوه على الخشب لقتله، فقال: اللهم إني لا أرى إلاَّ وجه عدو ولا أرى وجه أحد يُقرئ رسولك مني السلام، فأقرأه مني السلام، فأخذت النَّبيَّ ﷺ إغفاءة وقال: «**هذا جبريل أتاني يُقرئني من حبيب السلام**»، فهذا رجل همّه في لحظاته الأخيرة أن يبعثوا

بسلامه لرسول الله ﷺ، لا أن يأكل فرخة أو شيكولاته، كما سمعنا عن البعض وهو يجود بأنفاسه الأخيرة.

وكان زيد بن الدثنة معه في رحلة الدعوة، قبض عليه المشركون وخرجوا به إلى التنعيم لقتله، فسأله أبو سفيان: أما تُحب يا زيد أنك في أهلك وولدك ومحمد هنا تُضرب رقبته؟ فقال له زيد: والله، ما أحب أني في أهلي وولدي ورسول الله ﷺ في المكان الذي هو فيه يُشاك بشوكة. فقال أبو سفيان - وكان يومئذ مشركًا - فوالله ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد لمحمد ﷺ.

ولما كان يوم أُحُد انكشف المسلمون، فتقدّم أنس بن النضر، وتبرأ إلى الله مما جاء به المشركون، واعتذر إليه سبحانه مما فعله أصحابه، وسمع أنَّ رسول الله ﷺ قد مات، فقال: علام الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه، وهي كلمة لابد أن تنقش على القلوب، وتصلح منهاجًا للحياة، وتعبيرًا عن المحبة التي تورث الاتباع الصادق، وكان مصعب بن عمير صاحب اللواء يوم أُحُد، قُطِعَت يده اليمنى ثم اليسرى، فأمسك اللواء بعضديه،

فأنفذه ابن قميئة بحربة، فوقع وهو يقول: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

إنَّ المحبة والانقياد والاتباع والوفاء معانٍ لا تقتصر على الحياة دون الممات، وهذه المحبة لم تقتصر على الرجال دون النساء؛ فالمرأة قد يأتيها خبر وفاة أبيها وأخيها وزوجها، فتسأل ماذا فُعل برسول الله ﷺ، فإذا اطمأنت على حياته فكل مصيبة بعده جلل (أي هينة).

ولما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة؛ ليزيد في هدنة الحديبية، دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين، فطوت فراش النَّبيّ ﷺ دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: لقد أصابك بعدي شر.

إنَّ الصحابة خيار أولياء الله المتقين، وكل صحابي أفْضل من كل من جاء بعده، ويكفيهم شرف الصحبة - رضوان

الله عليهم أجمعين – فإن نحاول اللحاق بهم، ونحرص على مزاحمتهم في محبتهم لرسول الله ﷺ، هذه هي الرجولة الحقة، ولذلك قال أبو مسلم: «لنزاحمنّهم عليه زحامًا؛ حتَّى يعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالاً».

وهذه الرجولة المذكورة هي وصف من علت همَّته واستقامت طويته وسابق الريح في مرضاة ربه، وهي الواردة في مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿ **رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** (٣٧) ﴾ [النور: ٣٧]، ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا** ﴾ [التوبة: ١٠٨].

لقد صار كثير من أبناء المسلمين حربًا على إسلامه، وعلى دينه، يستهزئ باللحية والنقاب وبتقصير الثوب... والبعض إذا ما ذكر السُّنَّة، فعلى جهة الاستخفاف، وكأنها الأمر المستحب الذي لا يُؤبه له، ولا قيمة له!! والبعض علاقته بالإسلام عبارة عن الإحتفال بالمولد النبوي، وسائر

الأعياد المخترعة المبتدعة، يصنع ذلك تارك الصلاة والمتبرجة ومن يحكم بغير ما أنزل الله، بل فريق من المسلمين يرى قضية التدين مسألة اختيارية!!.

وبينما نرى التوقير والاحترام لقول الاقتصادي العالمي، والطبيب المشهور، نجد الاستهانة بهدي النَّبيّ ﷺ مع ادّعاء المحبة، ولهؤلاء نقول: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

فليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل، والُمحب لرسول الله ﷺ يجب عليه أن يقتفي آثاره قولاً وعملاً.

وروى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران (أبو بكر وعمر) أن يهلكا، رفعا صوتهما بحضرة رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أمّر القعقاع. وقال عمر: بل يا رسول الله أمّر الأقرع. فنزل قوله تعالى: ﴿ **لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِه وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [الحجرات: ١]، وقوله: ﴿ **لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا**

تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) ﴾ [الحجرات: ٢].

إنَّ رفع الصوت حال حياته أو بعد وفاته من محبطات الأعمال، فهل تأدبنا بأدب النبوَّة، وهل تأسَّينا بسلفنا الصالح في محبتهم لرسول الله ﷺ؟ أم أنها شعارات؟ نحتاج لواقع ورصيد، بحيث يُقال لأهلها: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)** ﴾ [البقرة: ١١١].

وكان النَّبيّ ﷺ دائمًا يُحذر من البدع ويقول: «**إنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

وكان عمر رضي الله عنه يقول: كل محدثة بدعة، وإن رآها الناس حسنة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم عليكم بالأمر العتيق.

وقال الشافعي – رحمه الله –: من استحسن فقد شرع.

ولم يسمح ابن عمر رضي الله عنهما للرجل الذي عطس أن يتجاوز السُّنَّة بقوله: «الحمد لله، والصلاة السلام على رسول الله».

فقال له ابن عمر ﭬ: ما هكذا علَّمنا رسول الله، قال: «**إذا عطس أحدكم فليحمد الله**» ولم يقل وليصل على رسول الله» .

هكذا كانت محبة القوم، وهكذا كانت حيطتهم؛ لعدم خدش جناب التشريع، والخير كله في اتباعهم؛ عسى أن يُغير ربنا حالنا لأحسن الأحوال، وأن يُمكّن لنا ديننا الذي ارتضى لنا، وأن يُبدلنا من بعد خوفنا أمنًا هو سبحانه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الإجرام الحقيقي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالإجرام الحقيقي هو فعل الذنوب العظيمة التي يواقعها الناس عن قصد، سواء أكان ذلك في حق المولى جل وعلا، أو في حق العباد، فالكفر والصد عن سبيل الله والتنفير من طاعة الله، والتشريع مع الله وصرف العبادة للمقبورين، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والربا... كلها من صور الإجرام، إذ الإجرام لا يقتصر على الجنايات التي يُعاقب عليها القانون، ومن هنا تُدرك قصور ونقص ما ورد في كتب القانون من تعريف الجريمة، بأنها كل فعل يعود بالضرر على المجتمع ويُعاقب عليه القانون؛ فالقانون الوضعي لا يصلح مقياساً ولا ميزاناً لتقييم معاني الصلاح والفساد،

وقد يعلقون به من خرج على الدستور الكفري على أعواد المشانق، ويُجرِّمون من أظهر المصحف أو رفع الأذان، أو ألزم النساء بالحجاب الشرعي، أو صادر حرية الارتداد والكفر والإباحية... كما هو مشاهد في الكثير من البقاع.

ولا شكَّ أنَّ الكفر والذنوب والمعاصي تعود مضرتها على المجتمع في العاجل والآجل، فهل وجدنا القوانين الوضعية تُعاقب على ذلك؟!! ولو حدث وعاقبت على بعض صور الإجرام كالاغتصاب والسرقة، فهل عاقبت على ما هو أخطر وأشد كالردة، وصرف العبادة لغير الله والتشريع مع الله، واستيراد الفلسفات المارقة، والنظم المنحلة كالديمقراطية والاشتراكية؟!!.

إنَّ الإجابة واضحة؛ فنحن نعيش في زمن غربة وجهالة تبدَّلت فيه الموازين، وانزوت فيه الضوابط الشرعيّة، خُوّن فيه الأمين واؤتمن الخائن، ونطق فيه الرويبضة، وهو السفيه يتكلم في أمر العامة، بل وتسلط الأعداء على رقاب البلاد والعباد، وصار الاحتكام للعرف والعادة، والأكثرية، ومعاني

التاريخ المشوّه والمعقولات التي هي في الحقيقة مجهولات.. ولا تستبعد في ظل هذه الظروف أن يعتلي الملحد الزنديق منصَّة القضاء، ويُتهم المسلم الذي يقول ربي الله بالإجرام!!.

لقد كان نبي الله موسى عليه السلام بمصطلح القانون الفاسد خارجًا على الدستور، ولذلك قال فرعون: ﴿ **إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** (٢٦) ﴾

[غافر: ٢٦].

وكان نبيّ الله لوط عليه السلام خارجًا على حكم الأكثرية، ولذلك قال قومه: ﴿ **أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** (٥٦) ﴾ [النمل: ٥٦].

وتتبع ما حدث مع سائر الأنبياء والمرسلين وأتباعهم كصاحب يس، ومؤمن آل فرعون، وأصحاب الكهف والأخدود.. ستجد أنَّ جريمتهم هي الإيمان بالله وحده ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** (٨) ﴾ [البروج: ٨]، ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ**

أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

[إبراهيم: ١٣– ١٥].

إنَّ الكفرة والملاحدة عندما ينفرون من المسلمين، ويصفون الدعاة والصالحين بالإجرام، يصدق عليهم المثل السائر: «رمتني بدائها وانسلت».

إن المجرم الحقيقي هو الذي يقتل المسلمين ويروع الآمنين بزعم نشر الديمقراطية، ومحاربة الإرهاب، ثم إذا قُتل عندهم نفس قامت الدنيا ولم تقعد!! والواجب علينا أن نحتكم للكتاب والسُّنَّة؛ حتَّى نتعرف على طبيعة الإجرام، ومن هو المجرم الحقيقي، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾** ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وقال تعالى عن فرعون وملأه: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾** ﴾ [يونس: ٧٥].

وقال نوح لقومه: ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) ﴾

[هود: ٣٥].

وقال هود لقومه عاد: ﴿ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) ﴾

[هود: ٥٢].

وذكر سبحانه عن نبيّه موسى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) ﴾ [الدخان: ٢٢].

وبيّن سبحانه وعد المؤمنين ووعيد المجرمين بقوله: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].

وقال: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى (٧٤) ﴾ [طه: ٧٤].

وقال: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

ووردت النصوص الكثيرة تُبين عاقبة المجرمين مثل: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ [الروم: ٤٧].

وكان ابن عبَّاس رضي الله عنهما يقول: «اعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام».

إن الكفر والمعاصي إجرام حقيقي، حتَّى وإن كان القانون الوضعي لا يجرمها، ودمارها ومضرتها قد لا تقتصر على شخص فاعلها، بل تتعداه إلى المجتمع، وهناك علاقة وثيقة بين الأسباب ومسبباتها، وبين المقدمات ونتائجها، فكل مقدّمة لها نتيجة، وكل عقيدة لها تأثير، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)** ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧]، لقد ضُرب بقوم سبأ المثل، وقيل: تفرقوا أيادي سبأ، شذر مذر، ولا سبب لذلك إلاَّ الإعراض والكفر.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)** ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (٤١) ﴾

[الروم: ٤١] .

وقال: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** (١٦) ﴾ [الإسراء: ١٦] .

وقال: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا** (٨) **فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا** (٩) ﴾ [الطلاق: ٨، ٩] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**» ، قالت: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا ظهر الخبث**» [رواه الترمذي] .

وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده، ثم لتدعنه ولا يُستجاب لكم**»

[رواه الترمذي] .

وورد : «**ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون، إلاَّ أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا**»

[رواه أبو داود وابن ماجه].

لقد أصبحنا اليوم نعتز بكل معصية، ونشق الطريق لكل منكر، ونرى كل من يدعو إلى الكفر بعين ملؤها غبطة، فإن اعترض عليه أحد، أو أنكر عليه يُعدّ رجعيًا، يعوق المجتمع عن التقدم...

فما أعظم الفرق بين أمسنا ويومنا، فلا يُستغرب كثرة الزلازل والفيضانات، والحوادث والكوارث التي تمحق البركات، وتتلف وتُدمر الأرزاق، وانظر لفرائض الإسلام كيف ضُيّعت، كم من النَّاس يُصلون ويزكون؟!.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث لولاته ويقول :

«ألا إنَّ أهم أموركم عندي الصلاة، ألا إنه لا حظَّ في الإسلام لمن ضيَّع الصلاة» .

وكان يقول : «من ضيّعها فهو لما سواها أضيع» .

فشا الظلم والجهل والزنا، وضُيِّعت الأمانة، وأُسند الأمر لغير أهله، وشُربت الخمر واستبيحت، وقد ثبت في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال: «**يا محمد إنَّ الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها، والمحمولة إليه وشاربها، وبائعها ومبتاعها، وساقيها ومسقاها**» [حديث حسن رواه الحاكم].

والخمر هي أم الخبائث ومفتاح كل شر، فإذا كانت الأوضاع التي تبيحها ملعونة فلا يبقى إلاَّ ارتفاع الرحمة ونزول النقمة.

وانظر في التعاملات الربوية التي استشرت على مستوى الفرد والدولة والجماعة، وصار البعض يرى أنّه لا حياة بدونها!! قال تعالى: ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** (٢٧٦) ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقال سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (٢٧٨) **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ**

وَرَسُولِهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] ، نزلت بشأن أهل الطائف ، وكانوا يصلون ويصومون . . ولكنهم كانوا يتعاملون بالربا . . وهو آخر المحرمات في القرآن ، فتهددهم سبحانه وتوعدهم بما لا طاقة لهم به ، إن هم لم ينتهوا عن هذه التعاملات الربوية ، وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : « **هم سواء ، والربا سبعون جزءًا ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه** » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « **يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتَّى يعلنوا بها ، إلاَّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا الميكال والميزان إلاَّ أخذوا بالسِّنين ، وشدَّة المؤونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاَّ مُنعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاَّ سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم ، ولو**

لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله جعل الله بأسهم بينهم»

[رواه ابن ماجه والبزار والحاكم والبيهقي] .

لقد صُرفت العبادة لغير الله، وحكمنا بغير ما أنزل الله، وصار الولاء والبراء ليس لله فيه نصيب، نوالي الكفار، ناهيك عن التبرج والاختلاط والرشوة والغضب، والعقوق وإضاعة الحقوق، والرقص والغناء وحياة اللهو واللعب، مما جعلنا أذلة، ومكَّن الأعداء من رقابنا .

فعلينا أن نعود إلى ديننا عوداً حميداً، وأن نتوب إلى ربنا، فمن رحمته سبحانه أنّه يملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يفلته ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** (١٠٢) ﴾ [هود : ١٠٢] ، وإذا كان الله لا يأخذنا بعذاب يفاجئنا، ونقمة تقضي علينا جميعًا، فذلك بفضل رحمة الله علينا، ودعاء نبيه ﷺ، إنَّ ذنبًا واحداً يكفي لهدم ما بنيناه، فكيف إذا توالت المعاصي والذنوب بلا حياء، وأعمالكم عمالكم، وما ربك بظلام للعبيد .

إن الإسلام حَكَمٌ وقاضٍ على الشرعية الدولية، وحقوق الإنسان، والقانون الدولي، وقرارات الأمم المتحدة، وهو المقياس والضابط للأعراف والعادات، ومعاني التاريخ، ولا التفات لأكثرية أو لأقلية تُخالف الكتاب والسُّنَّة؛ فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه في تحديد معنى الإجرام وغيره، والأمور كلها على ما عند الله.

وبالتالي فلابد من رفض كل صور الإجرام، وأن نتعرف على المجرمين الحقيقيين، وأن نعلم أنهم إن لم يتوبوا فإنَّ عذاب الله وعقوبته ستحل عليهم عاجلاً أو آجلاً، قد يزيفون ويدلسون ويُسارعون باتهام الأبرياء، ولكن أمرهم لا يخفى على خالق الأرض والسماء، وغداً ينكشف الغطاء، وعند الله تجتمع الخصوم في يوم عظيم ﴿ **يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤)** ﴾

[المعارج: ١١ – ١٤].

والعبرة يومئذ بمن يضحك آخرًا ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا**

كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾

[المطففين: ٢٩ – ٣٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نهاية العالم خلال ٥٠ عامًا

خبر وتعليق

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالخبر عبارة عن تقرير أمريكي يتنبأ بنهاية العالم في الخمسين سنة القادمة، ويُشير إلى أنَّ التغيرات المناخية سوف تؤدي إلى فناء دول وظهور كيانات جديدة تعود معها البشرية إلى العصور البدائية، في ظل عمليات رصد لهذه التغيرات المناخية، والتي بدأت بالفعل من خلال الكواكب الأخرى، والنيازك المدمرة التي ستضرب الكرة الأرضية في أرجاء متعددة، والطاقة المعتمة التي بدأت التحرك فعليًا في العام (٢٠٠٣م) على الرغم من سكونها

الدائم منذ عشرات البلايين من السنين، وأنَّ حياة البشر ستتأثر بفعل الاحتباس الحراري والدخول في مرحلة جديدة لجو الأرض.

ويرى التقرير أنّ منطقة الشرق الأوسط، وبالرغم مما يتهددها من زلازل، ستكون الأكثر أمانًا في كوكب الكرة الأرضية إزاء هذه المتغيرات، وقد استمرت هذه الأبحاث والدراسات (١٢ سنة) كاملة، وأكدت أنَّ النيازك المدمرة ستضرب الأرض في غضون (٢٥ عامًا).

وأن أكثر من (٨٠٪) من الأراضي الأمريكية مهددة بالغرق في الأطلنطي، وأنَّ شلالات مياه سمائية تتصل بالأرض محققة « انهماراً مطريًا » يهدد الكرة الأرضية، وأنَّ الاحتباس الحراري سيؤدي إلى نقص الأكسجين وموت الآلاف، وأنَّ العالم مهدد بغزوة من الأمراض الجديدة يتضاءل أمامها « وباء الإيدز » .

ووفق التقرير فإنَّ هذه الحركة الثابتة للأرض دون أيّ



انحراف أو ميل إذا كان الأساس فيها يرجع إلى ثبات « ذرات الطاقة المعتمة » فإن المؤكد والحتمي أنَّ هناك طاقة جبّارة تقف خلف هذا التوازن وتحرسه بعناية بالغة، وأنَّ هذه الطاقة الكبرى لا يمكن أن تكون إلاَّ « العناية الإلهية » لقد لوحظ – كما يرى التقرير– أنَّ التحرك في جزء الطاقة المعتمة كان في زاوية الأراضي الأمريكية والعديد من الدول الأوروبية البعيدة عن منطقة البحر المتوسط، وبحسب التأكيدات العلمية فإنَّ دولة كبريطانيا ستشهد موجة من الصَّقيع الشديد الذي يجعلها سيبريا جديدة، وأنَّ هذا سيحدث في الأعوام العشرين المقبلة.

أمّا المشكلة الأكثر خطورة – كما يقول التقرير – هي أنَّ العالم ما زال مكدساً بمخزون هائل من الأسلحة النووية، الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور أمراض جديدة، وكذلك إصابة ملايين الأفراد من البشر بكوارث صحيّة حقيقية، وأنَّ هذه الكوارث قد تعني قتلهم وموتهم بالفعل.

التعليق على الخبر:

أولاً - نهاية قريبة فماذا أعددنا لها:

أخبار مفزعة نسمعها كل يوم في عصر العلم والاكتشافات!! فهل غيَّرت فينا قدر أنملة؟!!، وهل اهتزت لها شعرة ؟!، هل ترك الكافر كفره، وأسلم وجهه لله؟!، وهل تركنا الظلم والبغي والعدوان وعملنا بطاعة الله؟! أين ثمار تصديقنا لهذه الأخبار؟! فتارك الصلاة مازال تاركًا لصلاته!! والمتبرجة لم ترجع للحجاب الشرعي!! والمنهمك في لعبه لم يترك لهوه وغيّه !!...

وهذا الحال يُقرب إلى الأذهان كيف ستقوم الساعة، ولا أحد في الأرض يقول: الله، الله. ولن تقوم الساعة حتَّى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخُلصة، وحتى تُعبد اللات والعزى، ولن تقوم الساعة إلاَّ على شرار الناس، رغم معاينة الناس لأمارات الساعة الصغرى والكبرى، ورغم أنَّ الغيب يصبح شهادة، ونعوذ بالله من الخذلان، وقد أخبرنا سبحانه بقرب قيام الساعة فقال: ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ** ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١].



ومع اقتراب الساعة وظهور مثل هذه النُذر المخوفة لا يبقى إلاَّ الاستعداد للقاء الله، وإحسان المسير إلى الله، وإلاَّ فالموت قريب، والكل سيلقى ربه حتمًا لا محالة وإن لم تقم عليه الساعة، أتى أعرابيّ لرسول الله ﷺ يسأله بصوت جهوري ويقول: يا محمد، متى الساعة؟ فأجابه النَّبيُّ ﷺ بنحو من صوته وقال له: «**هاؤم، إنَّ الساعة لآتية، فماذا أعددت لها؟**» .

[رواه مسلم في باب البر والصلة برقم (٤٧٧٥)]

وقد حذَّر ربنا جلَّ وعلا الخلق والعباد فقال: ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)** ﴾

[الأعراف: ٩٧ – ٩٩].

لا داعي للتطاول على الله، ولا داعي للعربدة والطغيان والتجبر في الأرض، فإنَّ الله يُملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يفلته ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)** ﴾ [هود: ١٠٢].

والتخوف مما يقتصر على هذه النذر التي وردت في الأبحاث والدراسات، فقد يأتي الهلاك من مكمن الأمن، فإنَّ العماليق، قوم عاد، لما رأوا الريح استبشروا الخير، وتوسموا أن تأتيهم بالمطر، فكان فيها هلكتهم، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥].

فلا تعصي ربك وترجو رحمته؛ فإنَّ لكل مقدمة نتيجة ولكل عقيدة تأثير، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٧)** ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].

ثانيًا - دلّت الأمارات على عودة الحياة بدائية:

يستلفت النظر، ونحن نُطالع أمارات الساعة، أنَّ الحرب مع الروم في آخر الزمان ستدور على الخيول وبالسيوف، وأنَّ

الكعبة ينقضها ذو السويقتين حجرًا حجرًا بمسحاته، وأنَّ يأجوج ومأجوج يرمون بنشابهم إلى السماء، ففي الحديث الذي رواه مسلم: «**أن المسلمين يأتيهم الصريخ، إنَّ الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة**».

قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آباءهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ**» [رواه مسلم].

وحديث هدم الكعبة في الصحيحين، وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ فذكر الحديث عن يأجوج ومأجوج وفيه: «**ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر الناس منهم، فيرمون سهامهم في السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وغلبنا من في السماء قوة وعلوًا. قال: فيبعث الله عز وجل نغفًا في أقفائهم، فيهلكهم، والذي نفس محمد بيده أن دواب**

الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكراً وتسكر سكراً من لحومهم» [رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني].

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: **«ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حَتَّى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف** (دود) **في رقابهم فيصبحون فرسى** (قتلى) **كموت نفس واحدة..»**

[الحديث رواه مسلم].

هذه النصوص وغيرها تدل على عودة الحياة بدائية في آخر الزمان، فلا طائرات ولا صواريخ عابرة القارات.. مما جعل البعض يقول: إنَّ واقع عصرنا وما فيه من مظاهر التطور، قد ينتهي بحرب نووية، تعود الإنسانية فيها إلى بدايتها الأولى، وذكر البعض أنَّ منابع البترول قد تجف، وتُصبح أسلحة العصر المتطورة بلا قيمة !!.

والبحث الأمريكي الأخير يعول على الكواكب والنيازك المدمرة، وحركة الطاقة المعتمة، وأيًا ما كان السبب فالمتيقن

حصول هذه الصور التي وردت في أخبار الصادق المصدوق ﷺ، والتي ستحدث قرب قيام الساعة .

ثالثًا - نترك الواقع يفسر لنا علامات الساعة فلا داعي للتكلف:

كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لأصحابه : « أنتم في زمان خيركم المسارع في الأمر، وسيأتي على الناس زمان خيرهم المتوقف المتثبت لكثرة الشبهات » .

تتزايد الأراجيف حدة، فما من يوم يمر إلاَّ ونسمع ادعاءً جديداً، فهذا يزعم أنَّ الرياح التي هبَّت على مصر، وأظلمت بسببها القاهرة، هي الدخان المذكور ضمن أمارات الساعة، وأنَّ السلعوة التي عقرت الناس هي دابة الأرض!! ونقلوا أنَّ بحيرة طبرية قد جفَّت، وأنَّ نخل بيسان قد قُطع، وأنَّ المهدي قد ظهر، وأنَّ فلاناً حاول اللحاق به ولم يدركه!!، وأنَّ الحجر والشجر قد نطق!!.

وبين حين وآخر تُطالعنا وسائل الإعلام بأنَّ نهاية العالم سنة كذا وكذا تحديدًا، ويذكرون في ذلك تنبؤات لا حصر

لها، وجعلت البعض ينتحر أو يهاجر أو يترك عمله!! والخطر كبير في نقل الأخبار دون تثبت وخصوصًا مع هولة الإتصال، وقد صارت الدنيا أشبه بقرية صغيرة.

والواجب علينا أن نترك الواقع يفسر لنا أمارات وعلامات الساعة، فهي ستحدث - بإذن الله حتمًا لا محالة- وفق خبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه؛ فلا داعي للتكلف والتعجل.

ولا يجوز التعويل على كلام العرّافين والكهّان، ولا اعتماد المنامات في التحديد، ولا يصح الجزم والقطع، وادّعاء معرفة الغيب، قال تعالى: ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾

[الأنعام: ٥٩].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن إثبات العرافين والكهنة والسحرة، ففي الحديث: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ**»

[رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح على شرطهما].

وقد رأينا ما جرته منامات ظهور المهدي من شر وفساد، فلا يجوز مصادمة الشرع بكلمات المنجّمين والكهان، ولا يصح التعويل على الكشوفات والفتوحات والمنامات؛ فالعلم والإيمان يقوم على الوحي المنزل، بل حتّى الأبحاث والنظريات العلمية لابد من إخضاعها لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ، فلسان حال المسلم ينطق: آمنت بالله وكذبت عيني، فإذا صارت المسائل حقائق يقينية، فلن نجد فيها مخالفة لشرع الله، ولا يُتصور وجود تعارض بين نص صريح وعقل صحيح.

ونحن عندما نرفض ونذم التعجل لا ننكر قدرة الله على أن يجعل الحجر والشجر ينطق الآن وفي كل وقت وحين ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ [يس: ٨٢] فقط نحتاج لصبر ويقين تخالط بشاشته القلوب نتعامل به مع السُّنن الكونيّة والسُّنن الشرعية، وهذه عدة الإمامة في الدين قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** (٢٤) ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال العلماء: لما أخذوا برأس الأمر، جعلهم رؤوسًا، أي لما أخذوا بالصبر واليقين جعلهم سبحانه أئمة.

رابعًا - لن تقوم الساعة حتَّى تستوفي جميع الأمارات:

لا يعلم متَّى تقوم الساعة، و تنتهي الدنيا، ولا متى تظهر الأمارات إلاَّ الله، وقد وردت النصوص تدل على أنَّ علم الساعة مما استأثر الله به فلم يطّلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

ولما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال له النَّبيُّ ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» [رواه البخاري]، فجبريل لا يعلم متَّى تقوم الساعة، وكذلك رسول الله ﷺ.

فلا يجوز الرجم ولا تحديد عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة، كما لا يجوز تحديد زمن ظهور المهدي ولا غيره من



العلامات استناداً لما عند أهل الكتاب، وعلينا أن نعلم أنَّ الساعة لن تقوم حتَّى تستوفي جميع الأمارات الصغرى والكبرى، وما حدث ووقع منها كطاعون عمواس، وانشقاق القمر، ونار الحجاز... فهو معجزة ، وما لم يقع منها كظهور المهدي وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج، ودابة الأرض.. فالإيمان به واجب، والله أعلم بزمان وظروف وكيفية وقوعه، إن ورد في ذلك نصٌّ قلنا به، وإلاَّ فالخوض فيما طويَ عنَّا نوع من التكلف، والسلامة تركه والواجب علينا أن نعيش طاعة الوقت، وأن نحرص على طلب العلم النافع، ومتابعته بعمل صالح، وأن نتعرف على السُّنن الشرعية، والسُّنن الكونية، حتَّى نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الصورة التي أذهلت العالم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

ففي آخر رحلة أطلقت فيها وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» (NASA) مركبة فضائية؛ لتصوير الأرض من الفضاء، بدت الأرض كالمعتاد كلها مظلمة ما عدا بقعتين اثنتين ظهرتا مُضيئتين بنور ساطع واضح، و هما الكعبة المشرفة بمكّة المكرمة، والمسجد النَّبويّ الشريف في المدينة المنورة، وقد حاول بعض أهل الفزلقة والتشكيك أن يُعزي هذه الظاهرة إلى كثرة الإضاءة والإنارة في هذين المكانين المباركين، ولكن أين هذا من عاصمة النور «باريس»؟!! والعاصمة المتوهجة «نيويورك»؟!!... إنه نور الحق، وهذه الصورة تناقلتها وكالات الأنباء، وقد أذهلت مركز ناسا

للفضاء، وعندما نُشرت أذهلت العالم أجمع، وهذه الصورة تحمل في طيّاتها عدَّة مسائل تحتاج لتوضيح وبيان.

أولاً - التَّثبُّت في نقل الأخبار:

الدنيا أشبه بقرية صغيرة، وما من يوم يمر إلاَّ ونسمع فيه عشرات الأخبار المثيرة، وقد حذَّرنا سبحانه من نقل الكلام على عواهنه فقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** (٦) ﴾ [الحجرات: ٦]، فلابد من التَّثبُّت والحيطة، وهذه الأمة التي نتشرف بالانتساب لها هي أمة إسناد، والإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

قال تعالى بشأن قصَّة الإفك: ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ** (١٥) ﴾ [النور: ١٥].

ولمَّا سمع أبو بكر رضي الله عنه من المشركين أنَّ رسول الله ﷺ قد أُسري به قال: «إن كان قال فقد صدق» [أخرجه الحاكم

في المستدرك (٣ / ٦٢) وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد . وأقره الذهبي].

ويُخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية، وهذه النظريات ليست حقائق يقينية، بل قد تتبدّل وتتغير، وشأن المسلم أن يصدق شرع الله ويُكذب الواقع إن خالف ذلك، ولسان حاله ينطق: «آمنت بالله وكذبت عيني» .

وقد أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه عن فشو الكذب قرب قيام الساعة فقال: «**إنها ستأتي على الناس سنون خداعات، يُصدق فيها الكاذب، ويُكذب فيها الصادق...**»

[الحديث رواه أحمد، وقال ابن كثير: إسناده جيد].

ثانيًا - صور الإعجاز كثيرة:

برهن سبحانه على صحَّة القرآن وأنه تنزيل من رب العالمين، وقد دعا سبحانه الإنس والجن والناس عبر العصور

وكرِّ الدهور على الإتيان بسورة من مثل هذا القرآن، فما استطاعوا مواجهة التحدي، وبثّ في كتابه الكريم الكثير من صور الإعجاز الطبي والفلكي والتشريعي ... ولازالت الحقائق العلمية وغيرها تتكشف وليس فيها ما يُخالف آية من كتاب الله تعالى، وكون القرآن كتاب هداية لا يمنع من ورود إشارات علمية سيقت مساق الهداية، هذه الإشارات تعقد من أجلها المؤتمرات بين حين وآخر، قال تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقد أمر جلَّ وعلا عباده بإطلاق البصر للتدبُّر والتأمل في الآيات المبثوثة على صفحات الكون.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ولا شكَّ أنَّ العصر الذي نعيشه هو عصر الانبهار بالعلم والافتتان به، فبيان هذا الإعجاز العلمي من دواعي الإيمان بالقرآن والتصديق بأنه تنزيل من رب العالمين، والآيات تضمنت إشارات علمية تزداد عظمة ووضوحًا كلما تقدَّم

العلم، ولا يخفى أنَّ الحق مقبول من كل من جاء به، والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، والحق ما وافق الكتاب والسُّنَّة، والكل يعلم مدى عجز البشرية عن إدراك الكثير من أسرار الكون رغم ادّعاءات التَّطور والتَّقدم والتحضر.

يقول باكون: «ما أشبه علمنا بعلم الأطفال الذين يلعبون برمال ساحل البحر، وهم يجهلون أسرار أعماقه».

فلابد من التواضع، ومضاعفة البحث، وتعمير الدُّنيا بطاعة الله، وإقامة حضارة وفق منهج العبودية، وإسلام الوجه لله من قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله، يومئذ يصدَّعون، من كفر فعليه كفره، ومن آمن وعمل صالحًا فأنفسهم يمهدون.

ثالثًا - الآيات كثيرة واضحة فلماذا لا يؤمنون؟!

لا يسعك إلاَّ أن تردد وتقول: نعوذ بالله من الخذلان، فرغم كثرة الآيات ووضوحها، ورغم أنَّ الصور والمشاهد تلوي الأعناق، وتدعو للإيمان، إلاَّ أنَّ هؤلاء ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا**

مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾ [الروم: ٧] مازال الناس في أوربا يجثون أمام صورة العذراء، وفي روسيا يطوفون حول قبر (لينن)، وفي أفريقيا يعبدون الأصنام، مازال البعض يعبد البقر والأحجار والأشجار، والبعض الآخر يزعم أنَّ الدماء الزرقاء تجري في عروقه فيُجيز لنفسه أن يُشرع مع الله، أي مظاهر الجاهلية الأولى، وصور الشرك القديمة مازالت موجودة، ويُضاف إليها الفلسفات العصرية التي انبهرت بها البشرية كالديمقراطية وغيرها.

* والكثرة من هؤلاء لم تُعرض عن الحق؛ لعدم معرفتها به، أو لعدم رؤيتها للآيات الداعية إلى الإيمان، كلا، فقد شابهوا أوائلهم في الضلال والخُذلان، قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] أي أنهم كانوا على يقين من أنَّ موسى عليه السلام على الحق المبين، ولذلك قال موسى لفرعون: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا

آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) ﴾ [القمر: ١ - ٣]، رأى المشركون انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ إلى نصفين، واستمروا على ما هم عليه من الكفر والشرك، ووصف سبحانه الكفار بأنهم يعرفون النَّبيّ ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، فهل تابعوا النَّبيَّ ﷺ، أو شكروا نعمة الله عليهم؟!! .

وصفحات الكتاب المتلو المقروء مملوءة بالآيات البيّنات، فهل رفعوا بها رأسًا، وما من يوم يمر إلاَّ ونسمع عن مؤتمر يتعلق بالإعجاز الطبي أو الفلكي أو العلمي... فهل آمنوا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا؟!! وهل استطاعوا مواجهة التّحدي في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، رغم ادّعاءات العلم والتطور، وقد قيل لهم: ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾ [البقرة: ٢٤].

فقطع القرآن بأنهم لن يفعلوا، وبذلك ثبت عجزهم عن مواجهة التَّحدي، وإذا كان هذا هو شأن الكفرة في الماضي

والحاضر، فهذا شأن المخذولين أيضًا قرب قيام الساعة، فكثرة من الجهال والأعراب والنساء ستتابع الدجال على كفره وضلاله، ورغم أنَّ الصادق المصدوق ﷺ أخبر عن أحواله، وأنه أعور العين اليمنى، ومكتوب بين عينيه كافر!! ستطلع الشمس من مغربها ويشاهدها الناس، ويصبح الغيب شهادة، ورغم ذلك لن تقوم الساعة إلاَّ على شرار الخلق، ولن تقوم الساعة وأحد في الأرض يقول الله، الله.

فاثبت أنت على إيمانك، وأسلم وجهك لله، ولا تنبهر بكثرة زائفة، ولا تتردد إذا رأيتهم رغم وضوح الآيات لا يؤمنون؛ فالنار يوم القيامة ستقول هل من مزيد ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠)**﴾ [ق : ٣٠]، وبعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، لم يظلمهم ربهم شيئًا؛ فقد أنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل، وأودع منهم عقولاً وركَّب فيهم فطرًا؛ ليحيى من حيَّ عن بيّنة ويهلك من هلك أيضًا عن بيّنة، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها الآيات الواضحات، ولهم آذان لا يسمعون بها داعي الحق،

ظلموا أنفسهم بانحرافهم عن منهج الله، ولم يظلمهم سبحانه شيئًا.

وفي الحديث: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار**»

[رواه مسلم].

الدين واحد، والشرائع متعددة، وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)**﴾ [آل عمران: ٨٥].

سنُردد مع من خالفنا قول ربنا: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)**﴾ [سبأ: ٢٤ - ٢٦].

وقوله سبحانه: ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ**

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢١- ١٢٣].

رابعًا - الدنيا مُظلمة طالما خلت من نور الوحي:

من أسمائه سبحانه وتعالى: «النور»، وقد وصف جلَّ وعلا كتابه بالضياء والنور، ومن أعرض عن الوحي المُنزَّل فهو في الظلمات سواء كان فردًا أو دولة، قال تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢].

الظلم ظلمات، وأعظم الظلم أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، والبشرية اليوم تعاني من غربة شديدة، وظلم وظلام دامس؛ نتيجة الكفر بخالق الأرض والسماوات، ولا سبيل لأن تثوب إلى رشدها، وتُهدى إلى صراط مستقيم إلاَّ بأن تستنير وتستضيء بنور الوحي، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾ [النور: ٣٥] .

قال أُبيّ بن كعب: مثل نوره في قلب المسلم، وهذا هو النور الذي أودعه الله في قلب عبده من معرفته ومحبته، والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته، فتتزايد حتَّى تظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم يبصره من هو جنسهم، وإن كان سائر الخلق له منكر، فإن كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتَّى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا.

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من**

نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلَّ، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله» وفي الدعاء المشهور: **«أعوذ بنور وجهك الكريم أن تُضلني لا إله إلاَّ أنت»** .

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : **«يا شداد بن أوس، إذا رأيتَ النَّاس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد...»** [الصحيحة (٣٢٢٨) للعلامة الألباني – رحمه الله –].

خامساً - رمتني بدائها وانسلّت:

يحلو للبعض أن يصف المتدينين الملتزمين، الذين يتمسكون بكتاب ربهم، وبسُنَّة نبيِّهم ﷺ، بعدة صفات منفرة، مثل: أصحاب الفكر الظلامي، وأعداء الحداثة والتطور، ودعاة التخلف والرجعية والعودة لعصور الظلام...

ولعلهم يدركون – وقد شهد شاهد من أهلها – مَنْ الأولى والأحق بهذه الصفات، وخصوصاً وهم ينبهرون

بشدَّة بهذه الاكتشافات العلمية، بل هجروا دين ربهم لهاثًا وراء حضارة مزعومة، وطالبوا المسلمين بالانسلاخ من عقيدتهم وشريعتهم لمتابعة ركب التطور الغربي، ولهؤلاء نقول ما قاله الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩]، ومن هديه للتي هي أقوم أن أمرنا بالأخذ بأسباب القوة كائنة ما كانت، فلا بأس بركوب الطائرة والصاروخ.

ولا حرج في تصوير الأرض، واكتشاف الذرة.. نفعل ذلك مع ثباتنا على دين الله، فلا تغيير ولا تبديل لشرع الله، إذ التطور لا الرجوع للوراء من سمات هذه الدعوة المباركة تطور نزداد به إيمانًا ويقينًا، نصل به الدنيا بالآخرة، والأرض بالسماء، وننتقل به من ضعف إلى قوة، ومن قوة إلى قوة، وبحيث يتواصل حاضرنا مع ماضٍ وُجِدَ فيه خير أمة أُخرجت للناس، وننطلق إلى المستقبل مستصحبين منهج الأنبياء والمرسلين؛ لنُنير الطريق، ونُضيئ الحياة للبشر أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جرح الكرامة وفتح عمورية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فأعداء الإسلام والمسلمين – قديمًا وحديثًا – يحرصون على إلحاق الهزيمة النفسية بهذه الأمة؛ حتَّى يتيسر لهم السيطرة على البلاد والعباد، فتراهم يهوّلون من قدرتهم، ويهونون من شأن المسلمين، حتَّى نرفع رايات الاستسلام، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٧٥) ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقد يشيعون شائعة الأمن حتَّى نسترخي، ويشيعون شائعة الخوف تارة أخرى؛ حتَّى ننكسر ونُلقي سلاحنا، يقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣].

والواجب علينا أن نعتصم بمعاني الإيمان في كل آن وحين؛ حتَّى نستعصي على الفتن ما ظهر منها وما بطن ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾ [آل عمران: ١٠١] والمطالع للأحداث والمتابع لها، يدمى قلبه، ويصيبه الغمّ والحزن لاغتصاب المسلمات هنا وهناك، واستكراه الرجال على الشذوذ الجنسي، بالإضافة لقتل الشيوخ الرُّكّع والبهائم الرُّتع والأطفال الرُّضَّع وهدم المساجد على من فيها . . .

وعلى الرغم من حرص الأعداء على التعتيم الإعلامي الرهيب إلاَّ أنهم ينشرون أخبار وصور ما يحدث، وقد يظهر الأمر بمظهر السبق الصحفي، ولن تعدم تسريبهم لهذه الأمور، وتعقيبهم على هذا الإجرام بأنه موضع تحقيق!! وأن من مارس ذلك أو ارتكبه سيوجّه إليه خطاب تأنيب!! أو منع ترقيته!! جرائم يندى لها الجبين تخالف الشرائع والأعراف والقوانين، شارك فيها رجالهم ونساؤهم، وكل إناء بما فيه ينضح، فهذه هي ديمقراطيتهم وحرياتهم، وهذا هو الرخاء الذي يقدمونه للمسلمين!! .

وواقع الأمر وحقيقته أنَّ هؤلاء لا يحبوننا ويُنفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، ولا يرقبون في مسلم إلاً ولا ذمّة، ويُريدون إشاعة الفاحشة؛ حتَّى لا تقوم لهذه الأمة قائمة، ولا نستطيع رفع رؤوسنا، وهم كما وصفهم خالقهم: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] هم بنشرهم لهذه النجاسات والرذائل يُريدون تحطيم معنويّات هذه الأمة، وإحداث العاهات النفسية لها، فما حدث لإخواننا وأخواتنا هنا وهناك، سيحدث لنا حتمًا لا محالة، وهذه هي الرسالة التي يريد الأعداء إيصالها لنا؛ حتَّى نقول أُكلنا يوم أُكل الثور الأبيض.

يحدث ذلك في وقت تسلط فيه الأعداء، ولسان حالهم ينطق «من أشد منَّا قوّة» وانطلت حيل الأعداء على الكثرة منَّا، فكانت الموالاة للكفرة الفجرة، وظهر العجز والفشل والخور والضعف في حياتنا، وانكفأ الكل على نفسه، يُفكر في مصلحته ومشاكله – بزعمه – متناسيًا معاني الإيمان والأُخوة، وجاهلاً في الوقت ذاته بمصالحه

الحقيقية، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وفي الحديث: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟! قال: «**تأخذ فوق يديه**» [رواه البخاري ومسلم].

وورد: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [رواه البخاري ومسلم] وأيضًا: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كُربة فرَّج الله عنه كُربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**» [رواه البخاري ومسلم].

وفي الحديث: «**من ردَّ عن عِرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**» [رواه أحمد والترمذي وحسنه]، وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه**» [رواه أبو داود وحسَّنه الألباني].

وفي الحديث: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه**

بعضًا» وشبك النَّبي ﷺ بين أصابعه . [رواه البخاري ومسلم] .

والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم؛ لذا كان الواجب أن نشعر بشعور الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى، وأن نسعى في ردِّ العدوان والظلم، ليس فقط عن المسلمين ، بل وعن غيرهم ما وسعنا الأمر، فقد شهد النَّبيّ ﷺ حلفًا في الجاهلية في دار عبد الله بن جدعان، وكان الحلف لنصرة المظلوم قرشيًا كان أو غير قرشي، وقال عنه النَّبيّ ﷺ : **«لو دُعيت به في الإسلام لأجبت»** ، فكيف يكون العدوان باغتصاب مسلمات على أيدي الكفرة الفجرة؟! .

يحكي التاريخ أنَّ الخليفة المعتصم، لما نُقل له أنَّ امرأة مسلمة قد تكشَّفت واستصرخت به، ما كان منه إلاَّ أن انطلق يعدو على فرسه، وتبعه الجيش حتَّى فتح عمّورية، وبعدما فتحها قال : « أين التي تستصرخ؟ » .

هكذا كانت النخوة والعزة الإيمانية، ومن قبل وقع

القتال بين المسلمين ويهود بني قينقاع بسبب مسلمة كشف سوءتها يهوديّ، فصرخت، وكان من حديث بني قينقاع أنَّ رسول الله ﷺ جَمَعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: «**يا معشرَ يهود، احذروا من الله مثل ما نَزلَ بقريش من النّقمة، وأسلموا؛ فإنكم قد عرفتم أنِّي نبيٌّ مُرسَلٌ، تجدون ذلك في كتابكم وعَهد الله إليكم**»، قالوا: يا محمد، إنك تُرى أنَّا قوم، لا يَغُرَّنك أنَّك لقيت قومًا لا لهم بالحرب، فأصبتَ منهم فُرصَة، إنَّا والله لئن حاربناك لَتَعْلَمَنَّ أنَّا نحن النَّاس.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما نزلت هؤلاء الآيات إلاَّ فيهم: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا** ﴾ أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿ **فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)** ﴾

[آل عمران: ١٢، ١٣].

ذكر ابن إسحاق أنَّ بني قَينُقاع كانوا أول يهود نقضوا

ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد .

وعن أبي عون قال : كان من أمر بني قينُقاع أنَّ امرأة من العرب قَدِمَت بجلب بها فباعته بسوق بني قينُقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كَشْف وجهها، فأَبتْ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سَوْءتُها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، فَشَدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إيَّاهم بَشير بن عبد المنذر، وكانت محاصرته إيّاهم خَمس عَشرة ليلةً .

قال ابن إسحاق : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبَّث بأمرهم (تمسَّك به) عبد الله بن أُبيّ بن سلول، وقام دونهم، قال : ومشى عُبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ،

وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثلُ الذي لهم من عبد الله ابن أُبيّ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتَبرَّأ إلى الله عزَّ وجل وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورســـوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

قال: ففيه وفي عبد الله بن أُبيّ نزلت القصة من المائدة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (٥١) **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ أي كعبد الله ابن أُبيّ، وقوله: إني أخشى الدوائر. ﴿ **يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** (٥٢) **وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ** ﴾ .

ثم القصة إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ وذلك لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا،

وتبرئه من بني قَيْنُقاع وحلفهم وولايتهم ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾

[المائدة: ٥١ – ٥٦].

قد نعتذر اليوم عن عدم القدرة على نصرة المسلمين ومواجهة الأعداء، والانتقام منهم، فلماذا لا نأخذ بأسباب القوة، ونعود لإسلامنا، ونُطبق شريعة ربنا، فهذا مصدر عزّنا وسبب تمكيننا ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥]، ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) ﴾ [محمد: ٧] فليكن قول أحدكم للآخر إنَّ الله معنا، ولن يكون الله معنا إلاَّ إذا كنَّا مع الله، ولماذا لا نجمع صفوفنا ونحرص أن نكون يداً واحدة على عدو الله وعدونا.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً

وإذا افترقن تكسرت آحادا

وكما قال القائل:

أبي الإسـلام لا أبا لي سـواه

إذا افتخـروا بقـيس أو تميم

والإسـلام يعلو ولا يُعلى، والرابطة يجب أن تكون إيمانية، نرتفع بها على النعرات الوطنية والقومية والشعوبية، فحينئذ يُحقق لنا سبحانه موعوده الصادق، حين نستعلي على الحدود المصطنعة، والتشريعات الوضعية التي قطعت ما أمر الله به أن يوصل، كلنا يقين أن الظلم ظلمات، وأن المكر السَّيِّئ لا يحيق إلاَّ بأهله، وعلى الباغي تدور الدوائر، وأنَّ من سلَّ سيف البغي قُتل به، فلا يعجبك رحب الذراعين سفَّاك الدماء؛ فإن له قاتلاً لا يموت ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣)** ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ويوم المظلوم على ظالمه أشـد من يوم الظالم على المظلوم، وحلمه سبحانه على الظالمين، أحل المظلومين أعلى عليين، ومن سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره؛ فالجزاء من

جنس العمل، والعبرة بمن يضحك آخرًا، وسهام الأسحار نافذة، وعند الله غدًا تجتمع الخصوم.

أتى رجل لأحد العلماء يقول له: إنَّ بني فلان قد اجتمعوا عليَّ وصاروا يدًا واحدة، فقال: «يد الله فوق أيديهم» قال: إنهم كثير. قال: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» قال: إنَّ لهم مكرًا . قال: «ولا يحيق المكر السَّيئ إلاَّ بأهله».

دعوات المظلومين المسحوقين ترتفع، ويقول سبحانه : **«وعزَّتي وجلالي لأجيبنك ولو بعد حين»** .

قد يكون العجز والضعف مانعًا لنا من مد يد العون بنفس أو مال، ونتعلل بأن الواجبات تسقط بالعذر والعجز، وعدم الاستطاعة ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولكن هل هذا يحول دون المشاركة بدعوات صالحات في وقت من أوقات الإجابة – وما أكثرها – والسعي الحثيث في تربية النَّفس والأمة على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، فمعصية الجيش أضر عليه من سيوف

أعدائه، والنصر عُقبى الصابرين، وربنا لا يضيع أجر المحسنين، والعاقبة للمتقين، فلا استهانة بمعصية، ولا تهاون في طاعة حتَّى وإن كانت مستحبة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)** ﴾ [المزمل: ١- ٤].

يسعنا توضيح المفاهيم؛ حتَّى نكون على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، علمًا وعملاً واعتقادًا، ولابد من جهاد كبير؛ لإزالة الشبهات المتعلقة بمفهوم الولاء والبراء وغيره، وحتَّى نعتقد اعتقاد الطائفة الظاهرة الناجية المنصورة، وإلاَّ فالفرق النارية المنحرفة عن منهج أهل السُّنَّة والجماعة، هي من أعظم أسباب الخذلان وتمكين الأعداء من رقاب البلاد والعباد، بالإضافة إلى أنها لا تصلح لإقامة خلافة على منهاج النبوة.

كلنا ثقة ويقين في انتصار هذه الأمة على الروم وعلى يهود، فيصلِّ المسلمون بإذن الله ببيت المقدس، بعد أن يتم فتحه، ويُستنطق الحجر والشجر، «**فيقول: يا مسلم يا عبد**

الله، هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله، إلاَّ الغرقد فإنه من شجر اليهود» فهذا خبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)** ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وهذا يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم وماديا‌تهم وسلاحهم، يعودون إلى عقيدتهم الصافية، فتعود لهم الخلافة الراشدة، ويعود لهم عزهم ومجدهم المفقود، وما ذلك على الله بعزيز ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)** ﴾ [ص: ٨٨] .

فلا تيأسوا من روح الله؛ فإنَّ جنده هم الغالبون، وحزبه هم المفلحون، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١)** ﴾ [يوسف: ٢١] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تصورات بشرية لنهاية العالم

ظاهرة النيزك (XF) الذي سيدمر الأرض!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فما أكثر التصورات المطروحة عن نهاية العالم ودمار كوكب الأرض، مما يترتب عليه من ترقب وقلق يُصاحبه خوف وهلع عند البعض، وهذه التصورات تأتي عن طريق المنجمين والكهان أحيانًا، وقد تكون في صورة أبحاث علمية، كالبحث المقدم عن ظاهرة الانهمار المطري والذي أثار الرعب في أمريكا وأوربا، وشبيه به ظاهرة النيزك (XF) الذي سيدمر الأرض، وقد وصفه الصينيون بـ « صاعقة الموت » واليابانيون يعتبرونه « الأهوال الأخيرة لكوكب الأرض » ، وقد حددت التقارير العلمية المتخصصة، وعلى

ضوء أبحاث ودراسات مضنية يوم السادس والعشرين من أكتوبر لعام (٢٠٢٨م) أي بعد نحو أربعة وعشرين عامًا موعدًا لفناء الأرض...

الهوس يجتاح رجال الدين في أمريكا وأوربا.. والمؤسسات العسكرية الغربية، وعلى رأسها البنتاجون راحت تتتبع الخطر الذي يقترب من الأرض، وتبحث عن سبل مواجهته بعد أن اقتربت ساعته ودنت خطورته، وقبل أن ننقل تفاصيل هذا التقرير لنا أن نتعجب من كثرة التحديدات لنهاية العالم، والقطع والجزم بكيفية انتهاء الدنيا، واليوم الذي يحدث فيه ذلك، ثم الاختلافات والتناقضات الكثيرة في هذه التصورات، ولا يكتفون بذلك، بل يعتبرونها حقائق علمية!!.

ولا نتحدث الآن عن الأخطاء والأكاذيب في تنبؤات المنجمين والعرافين التي تتضح كل يوم، وأنَّ هؤلاء ليسوا بشيء كما قال النَّبيُّ ﷺ، لن تنتهي الدنيا حتَّى تحدث جميع الأمارات والعلامات التي وردت في الكتاب والسُّنَّة كظهور الدجال وخروج يأجوج ومأجوج ونزول المسيح

وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى تكلمهم، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب..

أي تغيرات في العالم العلوي والسُفلي تسبق قيام الساعة، ونحن نترك الواقع يُفسر لنا الأمارات التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، إنَّ الساعة لن تقوم إلاَّ على شرار الناس، ولن تقوم وأحدٌ في الأرض يقول الله، الله. وستُعبد اللات والعزى، وقبل ذلك يُرسل الله ريحًا طيبة تقبض روح كل مؤمن، ويسبق ذلك فتح بيت المقدس والقسطنطينية ورومية (روما عاصمة إيطاليا اليوم) وينتصر المسلمون على اليهود، وتعود الحياة بدائية، ففي قتال الروم تُستخدم الخيول والسيوف، ويأجوج ومأجوج يرمون بنشابهم إلى السماء.

وورد في الخبر أنَّ المسلمين عندما يأتيهم الصريخ، أنَّ الدجال قد خلفهم في ذراريهم، يرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم،**

هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ» [رواه مسلم].

وجاء في حديث النواس بن سمعان ﷺ في ذكر الدجال: أن الصحابة قالوا: يا رسول ﷺ، وما لبثه في الأرض؟ قال ﷺ: **«أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»** وفيه: **«ثم يدعو رجلاً ممتلأً شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهه يضحك»** [رواه مسلم].

ولا يعلم متى تقوم الساعة، ومتى تظهر الأمارات إلاّ الله، قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** (٦٣) ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** (١٨٧) ﴾

[الأعراف: ١٨٧].

فعلم الساعة مما استأثر الله به، فلم يُطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن وقت الساعة، قال النَّبيُّ ﷺ : «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» [رواه البخاري]، فجبريل لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك رسول الله ﷺ .

والقرب المذكور في النصوص إنما هو قرب نسبيّ، قال تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ** ① ﴾ [الأنبياء: ١]، وقال: ﴿ **وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحج: ٤٧] والساعة ستقوم في يوم الجمعة، ولكن لا ندري أي جمعة هي، ولا يجوز تحديد عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة، ولا بغير ذلك؛ فكلها تخرصات لا دليل عليها.

وإن كانت التحديدات والتصورات البشرية لنهاية العالم تُثير العجب، فمما يُثيره أكثر أن يعلم المتكلم بذلك قرب القيامة ثم يظل على كفره وضلاله وظلمه، هؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ⑦ ﴾ [الروم: ٧]، وقوله تعالى:

﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ** ﴾ [الأنبياء: ١ - ٣]، لماذا لم يُسلموا وجوههم لله ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولا ينجو من عذاب الله إلاَّ من أتى الله بقلب سليم.

لا نتكلم عن كل التقارير العلمية المتخصصة!! وكلمات المنجمين الكثيرة عن نهاية العالم، ولكن يكفي التقرير الذي رصد ظاهرة النيزك (XF) الذي سيدمر الأرض، ما شان من أعده وصدّق به، إلاَّ أن يقول: «رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا» ما حال أرباب الدنيا عندما يطالعون الأخبار المرعبة في تقرير النيزك (XF) الذي نقلته جريدة الأسبوع يوم (الأحد ٢٧ من شعبان سنة ١٤٢٥هـ) وقد جاء في التقرير:

«أنه وبحسب الأبحاث الصينية فإنَّ المشكلة بدأت منذ أوائل التسعينيات، عندما غيَّر هذا النيزك توجهه، وليس

هناك أي سبب علمي مُقنع يُفسر تحول النيزك – أو تغيّر توجهه – ؛ لأنَّ النيزك – حين غيّر توجهه – كشف عن أنَّ هناك قوى خفية تتحكم فيه، وأنَّ هذه القوى قادرة على السيطرة على هذا النيزك.

أما اليابانيون فيرون أنَّ تغيّر تحرك النيزك لم يكن بفعل حادث سماوي معين؛ فالأغلفة الجوية.. وحركة الكواكب كانت تبدو إلى حد كبير مستقرة.. ولكن الذي حدث أنَّ هذا النيزك بدأ يزيد من معدلات سرعته العادية حتَّى وصل إلى عشرين ألف كيلو متر في الساعة.

وتبدو المشكلة الحقيقية في النيزك أنَّ سرعته في دورة حركته جعلته يتجه إلى كوكب الأرض.. وقد فسر العلماء الألمان ذلك بأنها إرادة الرب، وأنه إذا لم تكن هناك أسباب علمية لهذا التحول، فهو تعبير عن غضب الرب على سكان الأرض.

وبحسب التقرير فإنه ومن الناحية العلمية المحضة تم التوصل إلى عدّة نتائج مهمة، منها أنَّ النيزك لن يوقف تحركه تجاه الأرض إلاَّ القوى الخفية التي ساعدته في

الانحراف نحو الأرض، وأنَّ احتمالات اصطدامه بالأرض تبلغ حسب التقديرات العلمية نسبة (٩٧٪) حيث تتزايد معدلات انحرافه واصطدامه سنة بعد أخرى.

إنَّ الأرض إذا أُريد لها البقاء بعد عام (٢٠٢٨) فإنها لابد أن تتحرك في اتجاه معاكس؛ حتَّى تتفادى ذلك الاصطدام، ولكن مع اقتراب النيزك (XF) ستحدث عدة ظواهر كونية مهمة، فقد ثبت أنَّ هذا النيزك كلما اقترب من منطقة الفضاء الخارجي يُرسل كميات كبيرة من الدخان، وهذا الدخان لا تستطيع الأجساد البشرية تحمّله، وقد يفضي إلى انتشار العديد من الأمراض التي لا تزال مجهولة عن الإدراك حتى الآن.

وبحسب التقارير فإنه وعندما يحدث الاصطدام الذي تبلغ معدلات حدوثه (٩٧٪) حتَّى الآن، فإننا سنكون أمام ما يعادل (٢,٥) مليون قنبلة نووية أُلقيت على كوكب الأرض.. كل قنبلة منها تُسبب انفجاراً يُعادل عشر أو خمس عشرة مرة انفجارات القنابل النووية.. إنَّ قوة الانفجار ستكون هائلة إلى الحد الذي تتلاشى فيه الأجساد

البشرية، ولا يُصبح هناك رمز للحياة سوى في بعض المناطق التي يُقدر أنها ستكون بعيدة عن مناطق الانفجار . .

ولكن حتَّى إذا حدث ذلك فإنَّ معدلات الانفجار العالية، وقوة القنابل النووية الأمريكية لابد أن تنتقل بآثارها إلى تلك المناطق التي لابد أن تكون في أطراف الأرض، أو في أحد أجزائها غير المقدرة حتَّى الآن، وأنَّ هذا الانفجار ستنبعث منه قوة نيران ضيقة ومحدودة، إلاَّ أنها ذات تأثير قاتل، وأنَّ مياه البحار والمحيطات لن تستطيع أن توقف تلك النيران العالية، بل إنَّ النيران العالية سوف تعمل على ارتفاع سطح المياه في البحار والمحيطات، لتتحرك هي الأخرى بسرعة كبيرة وفي اتجاهات مختلفة من الأرض، ويكون اندفاع المياه إلى الحد الذي يمكن أن يؤدي إلى غرق ثلثي كوكب الأض بقياس المعدلات الحالية للمياه في علاقتها بكوكب الأرض، وأن أكثر المناطق التي ستكون ذات خطورة عالية هي المناطق القريبة من البحار والمحيطات . . فالمحيط الأطلنطي قد يُبيد القارة الأمريكية، والبحر المتوسط قد يُبيد أوروبا وشمال إفريقيا وغيره من المحيط الهندي

والبحر الأحمر، والأنهار في أوروبا وبلاد العالم المختلفة.

ووفق معدلات الانحراف الحالية للنيزك فإنَّ أمريكا وبريطانيا، ثم فرنسا وألمانيا، ثم تركيا وإيران والعراق، ثم مصر والسودان وتونس ستكون أكثر المناطق العالية خطراً في هذه المرحلة، إلاَّ أنَّ ذلك لا يمكن الاعتداد به كنتائج نهائية.. فما زالت معدلات الانحراف تتغير كل ثلاث سنوات، ولكن تغيراتها منذ العام (١٩٩٥) وحتَّى الآن تصب في اتجاه التحرك إلى مناطق الأرض وتدميرها.. غير أنَّ اندفاع المياه وغرق العديد من المدن العالمية سيكون أقل الأضرار التي يمكن أن تُصيب الإنسان في هذا اليوم.

وتُشير التقارير إلى أنَّ اليوم المقصود ليس هو اليوم المحدد بـ ٢٤ ساعة فقط، ولكنه يوم ممتد قد يستمر مئة ساعة أو مئتي ساعة أو أقل، ومن أهواله يُمكن أن يفقد البشر إحساسهم بالوقت، أو انقضاء عدد معين من الساعات، أما الضرر الآخر الذي سيسببه هذا الانفجار فيكمن في انتشار كمّ كبير من الحرائق التي لا يستطيع أحد أن يُسيطر عليها.

والاحتمال الآخر يؤيده أنَّ البشر الذين سينجون من هذه الكارثة عليهم أن يتكيفوا بأجسادهم مع مناخ جديد تنتشر فيه الغازات الكيميائية والأبخرة، وتقل فيه إلى حد كبير نسبة الأكسجين.

وستظهر أنواع جديد من الغازات على الإنسان أن يتعامل معها، ويُدرك أنها أصبحت تمثل الحقائق الواقعية في العالم الجديد، فإن آثار التقدم العلمي والتكنولوجي إذا كان مقدرًا لها أن تُحقق إنجازات غير مسبوقة في السنوات العشر القادمة، وأنَّ بعض العلماء يؤكدون أنَّ المدنية ستصل إلى كامل تطورها في الربع الأول من هذا القرن وتحديداً في العام (٢٠٢٥)، فإنه وبعد ثلاث سنوات، ومع استمرار معدلات الانحراف الحالية للنيزك (XF) في اتجاه الأرض، فإنَّ المدنية ستتلاشى تمامًا، وسيعود الإنسان من حيث بدأ من قبل العصر الحجري، يستخدم أدوات الطبيعة، ويُقاتل الحيوانات المفترسة، كما أنَّ ما تبقى من أجهزة كهربائية لن تستطيع التعامل مع الظواهر المناخية الجديدة».

يُشير التقرير إلى القوى الخفية التي ساعدت النيزك على الاتجاه للأرض، وأنها القادرة على السيطرة عليه على قول الصينيين، ولو أحسنوا التعبير لقالوا: إنَّ الكون يسير وفق نظام محكم ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا** ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠]، ولا يكون في ملكه سبحانه إلاَّ ما يريد، فالنيزك وغيره يتحرك وفق مشيئة خالق الخلق ومالك الملك جلَّ وعلا، وما هذا النيزك المرعب إلاَّ نوع ابتلاء، وهو نذير ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا** ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩] ، وكما قال عليّ رضي الله عنه : «ما نزل بلاء إلاَّ بذنب، وما رُفع إلاَّ بتوبة».

وهذا على فرض صحة التقارير العلمية وثبوتها وكونها حقيقة واقعة، وإلاَّ فالغيب لا يعلمه إلاَّ الله، وما سيحدث في مستقبل الزمان إن ورد به نصٌّ شرعيّ قلنا به، وإلاَّ فالواجب الإمساك عمَّا طُويَ عنَّا علمه والتحسب للمخاطر المستقبلية مطلوب ومشروع، ومن أعظم صوره ترك الذنوب والمعاصي والاستقامة على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله

ﷺ، فلا ملجأ ولا منجا من الله إلاَّ إليه، ولا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم، والهلكة إذا قُدر لها أن تحدث، فقد تكون بالنيزك أو بغيره، وقبل هذا التوقيت الذي عليه التقرير أو بعده، فلا راد لقضائه سبحانه، ولا معقب لحكمه ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ [يس : ٨٢].

وما أشار إليه التقرير من عودة الحياة بدائية تؤيده نصوص الشريعة، ورغم ضعف البشرية وعجزها وقصورها ونقصها تلمس أمارات الغرور في التقرير، فقد ورد فيه تأكيد بعض العلماء أنَّ المدنية ستصل إلى كامل تطورها في الربع الأول من هذا القرن وتحديداً في العام (٢٠٢٥)!! وبعد ثلاث سنوات - على حد قولهم - تتلاشى المدنية بالنيزك!! والنيزك مخلوق ضعيف مأمور، والسماء مأمورة، وفيها ما لا يُحصيه إلاَّ الله من أمثال هذا النيزك، وكل شيء في الوجود مأمور، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه، لا داعي للتطاول والغرور، فما زلنا كأطفال نلعب بشاطئ البحر، ونحن نجهل أعماقه، قال تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ** (٩٧) **أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا**

ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ – ٩٩].

نعم تقدمت البشرية واخترعت واكتشفت، ولكن لابد من تواضع جميل، فما زلنا نجهل الكثير فيما يتعلق بالطب والفلك.. فلابد من إحسان المسير إلى الله؛ فإنَّ اغتراراً بالله حمق، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس: ٢٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

طلوع الشمس من مغربها
على المريخ

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فقد ذكر علماء الفلك أنَّ كوكب المريخ كان قد تباطأت سرعته في الإتجاه الشرقي حتَّى وصل إلى مرحلة التذبذب ما بين الشرق والغرب ...

وفي يوم الأربعاء الموافق ٣٠ يوليو، توقفت حركة المريخ عن السير في الإتجاه الشرقي!!، وبعد ذلك في شهر أغسطس وسبتمبر تحوَّل المريخ بالانطلاق بشكل عكسي نحو الغرب .. وذلك إلى نهاية شهر سبتمبر ...

وذلك يعني أنَّ الشمس طلعت من مغربها على المريخ!! وهذه الظاهرة العجيبة تُسمى (Retrograde motion) أو

الحركة العكسية.... ويقول العلماء: إنَّ كل الكواكب سوف تحدث لها هذه الظاهرة مرة على الأقل!! ومن بينها كوكبنا!!، أي أنَّ كوكب الأرض سوف تحدث له هذه الحركة العكسية يومًا ما، وسوف تطلع الشمس من مغربها على الأرض (١).

هذا هو الخبر، وإليك التعليق:

أولاً - الحق مقبول من كل من جاء به:

لابد من التثبت والحيطة في نقل الأخبار، وضابطنا في القبول والرفض هو كتاب ربنا وسُنَّة نبيِّنا ﷺ، فما وافق الحق قُبل، وما خالف الحق مردود على صاحبه كائنًا من كان، والحق أبلج وعليه نور، والباطل لجلج، وهو ظلمات بعضها فوق بعض، ثم الاكتشافات والأبحاث والنظريات وسائر صور التقدم العصري، إن استخدمت في الخير والصلاح، ولم تتصادم مع الكتاب والسُّنَّة فهي مقبولة، ولا حرج في العمل بمقتضاها.

(١) نقلاً عن الموقع الأمريكي (http://www.space.com) .

وكذلك الأمر بالنسبة لأخبار أهل الكتاب، نثبتها إذا وافقت الشريعة المطهرة، ونردها إذا خالفت الحق، وإذا لم نعلم موافقتها أو مخالفتها ذكرناها على جهة الاستئناس والاستشهاد، وشريعة ربنا لا تحتاج إلى تعضيد ولا تدعيم من هنا أو هناك؛ إذ هي شريعة رب العالمين، العليم الخبير، خالق الخلق، ومالك الملك، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وأحاط بكل شيء علمًا، علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وابتعث نبيه ﷺ حجة على العالمين ومحجة للسالكين ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)**﴾

[النجم: ٣، ٤].

ونحن في مقام الدعوة وتذكير البشرية بالعودة لدين ربها، ولا نحتاج إلى أن نسلك مسالك القُصاص، الذين أخرجهم عليٌّ رضي الله عنه من المساجد، فقد كانوا ينتحلون القصص الخيالي المكذوب في الوعد والوعيد، وفي الحق كفاية ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)**﴾ .

[الملك: ١٤].

والتطابق واقع بين صفحات الكتاب المتلو المقروء وبين صفحات الكون من حولنا، وما علينا إلاَّ أن نتعرف على السُّنن الكونية والسُّنن الشرعية؛ حتَّى نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس، وحتَّى نقوم بإبلاغ الحق للخلق أتم قيام.

ثانيًا - الشمس مأمورة والكون من حولنا مأمور:

الكون يسير وفق نظام محكم ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** (٤٠) ﴾ [يس: ٤٠] .

لما كان يوم الحديبية بركت ناقة رسول الله ﷺ فقالوا: خلأت القصواء، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وما هو لها بخلق، إنما حبسها حابس الفيل عن مكة**» [رواه البخاري (٢٥٢٩) كتاب الشروط ، من حديث المسور بن مخرمة]. فالقصواء مأمورة، والفيل مأمور، والسحاب مأمور، وقد حُبست الشمس على يوشع بن نون حتَّى دخل الأرض المقدسة ﴿ **وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** (٥٩) ﴾ [الأنعام: ٥٩].

والشمس تطلع كل يوم من المشرق وتغيب في المغرب، فإذا كان آخر الزمان أمرها سبحانه وتعالى أن تطلع من المغرب؛ فعن أبي ذر ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يومًا: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنَّ هذه تجري حتَّى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك، حتَّى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتَّى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك، فتصبح من مغربها**».

فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**» [رواه البخاري ومسلم].

وهذا من جملة الغيب الذي أخبر عنه الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، وما آمن أحد إيمانًا أفضل من إيمان بغيب كما قال ابن مسعود ﷺ، وما أحوجنا إلى أن نصبغ العلوم العصرية بصبغة إيمانية تهدي الحيارى في عصر



الطغيان المادي، وفي مواجهة لوثة إلحادية أبعدت الدنيا عن دين ربها .

ثالثًا - الشمس ستطلع من مغربها بإذن الله تعالى ولابد:

من علامات الساعة أن تطلع الشمس من المغرب، وتغيب في المغرب، وذلك قرب نهاية الزمان؛ فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا قبل طلوع الشمس من مغربها** » [رواه البخاري ومسلم] .

وعنه أيضًا ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتَّى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتَّى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنَّه رسول الله، وحتَّى يقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن ويكثر الهرج** (القتل) **وحتَّى يكثر فيكم المال، فيفيض حتَّى يهم رب المال من تقبل صدقته ، وحتَّى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتَّى يتطاول**

الناس في البنيان، وحتَّى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، وحتَّى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا» [رواه البخاري ومسلم].

وفي الحديث: «**إنَّ أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها**» [رواه أحمد ومسلم]. أي أول العلامات العشر الكبرى المؤذنة بتغيير العالم العلوي.

رابعًا - البدار إلى التوبة قبل حلول النقمة:

تُقبل توبة العبد ما لم يغرغر، أي قبل أن تتردد الروح في الحلقوم، ولذلك لما قال فرعون حال الغرق: ﴿**آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)**﴾ [يونس: ٩٠] قيل له: ﴿**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾ [يونس: ٩١، ٩٢]، فلم تُقبل توبة فرعون، وهذا بالنسبة لعمر الإنسان، وأما بالنسبة لعمر الزمن، فتقبل توبة العبد ما

لم تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس جميعًا فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل، حتَّى تطلع الشمس من مغربها**» [رواه مسلم].

وروى ابن جرير بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها**».

وروى الطبري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إذا خرج أول الآيات طرحت الأقلام، وحُبست الحفظة، وشهدت الأجسام على الأعمال» [رواه ابن جرير بسند جيد].

إن الشمس لم تطلع من مغربها بعد، وما زال باب التوبة مفتوحًا، فأسلموا وجوهكم لله من قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله، والبدار إلى التوبة قبل حلول النقمة عساها تُرد ما قد يُرد، فإن البر لا يبلى، والذنب لا يُنسى والدَّيان لا ينام، اعمل ما شئت كما تدين تُدان.

خامسًا - هل لم يبقَ من علامات الساعة إلاَّ الأشراط الكبرى؟ وهل نترقبها؟

وردت نصوص الشريعة بعلامات الساعة، فمنها ما حدث كبعثة النَّبيّ ﷺ ووفاته، وفتح بيت المقدس، وطاعون عمواس، وانشقاق القمر، ونار الحجاز، وظهور الفتن، وتوقف الجزية والخراج، وظهور مدعي النبوّة ...

ومنها ما يحدث كتداعي الأمم علينا وكثرة الزلازل وقطع الأرحام، وزخرفة المساجد والتهاون بالسُّنن، وكثرة الكذب، وشهادة الزور، وضياع الأمانة، وارتفاع الأسافل، وذهاب الصالحين، وقبض العلم، وتقارب الزمان والأسواق، وكثرة القتل والشرك، وظهور المعازف، وكثرة شرب الخمر، وظهور الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة، وانتشار الربا والزنا، وظهور الفواحش، وكثرة موت الفجأة...

ومنها ما لم يحدث بعد كحسر الفرات عن جبل من ذهب وعودة بلاد العرب مروجًا وأنهارًا، وخروج القحطاني وفتنة الأحلاس، ورفع القرآن وظهور المهدي والدجال، ونزول المسيح وخروج يأجوج ومأجوج...

والساعة لن تقوم حتَّى تستوفي جميع الأمارات والعلامات التي وردت في الكتاب والسُّنَّة .

وقد صرَّحت نصوص الشريعة بقرب نهاية هذا العالم الدنيوي، قال تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ** ① ﴾ [الأنبياء : ١] ، وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا** ⑥ **وَنَرَاهُ قَرِيبًا** ⑦ ﴾ [المعارج : ٦، ٧] ، وقال عز وجل : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ① ﴾ [القمر : ١] .

وفي الحديث : «**إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر ومغرب الشمس**» [رواه البخاري] .

وقال ﷺ : «**بُعثت أنا والساعة جميعًا، إن كادت تسبقني**» [رواه أحمد والطبري بسند حسن] .

وقد ذكر بعض العلماء كالقرطبي وغيره أنَّ أمارات الساعة في تزايد مستمر، ولم يبق إلاَّ الأشراط الكبرى التي أولها ظهور المهدي، والأدق أن يقال : لم تظهر إلى الآن - لحظة كلامنا - شيء من أشراط الساعة الكبرى - ومن بينها طلوع الشمس من مغربها- وكلها ستحدث وفق خبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه؛ فلا داعي

للتعجل والتكلف، وما علينا إلاَّ أن نترك الواقع يفسرها لنا.

ولا حرج في ترقب حصولها، خاصة إذا تعاقبت الإرهاصات والمقدمات التي جاءت بها النصوص طالما لم يُخلّ المرء بشيء من التكاليف الشرعية، ففي حديث النواس بن سمعان ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتَّى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «**ما شأنكم؟**» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتَّى ظنناه في طائفة النخل. فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم**» [رواه مسلم].

فيا عباد الله...

إنَّ الساعة آتية لا ريب في ذلك، وما ظهر من أشراط الساعة، فهي معجزات للنبيّ ﷺ، وعلم من أعلام نبوته، وإذا ظهر أول أشراط الساعة الكبرى تتابعت الآيات كتتابع الخرز في النظام، ويتبع بعضها بعضاً، وآخر هذه الأشراط هو



خروج النار التي تطرد الناس إلى محشرهم.

فيا عباد الله، استعدوا للقاء الله في كل آن وحين، فلن ينجو من فتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغيرها إلاَّ من وفقه الله واعتصم بالوحي الصادق، وتعلم العلم النافع وتابعه بعمل صالح، واغتنم فرصة اللحظات، وتاب إلى الله توبة نصوحًا، قبل أن يغرغر، وقبل أن تطلع الشمس من مغربها، وأقبل على ربه بكل ما يحبه سبحانه ويرضاه من الأقوال والأفعال، فإن ظهور كثير من أشراط الساعة دليل على خراب هذا العالم وأنه قد قربت نهايته.

فاللهم ارحمنا برحمتك الواسعة إذا صرنا تحت الجنادل والتراب، وانقطعت الأسباب، وفارقنا الأهل والأحباب، أنت ملاذنا، وأنت رجاؤنا، وأنت أرحم الراحمين، اجبر كسرنا، وارحم ضعفنا، واستر عوراتنا، ولا تُخزنا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أزمة ضمير أم غياب إيمان؟!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فكلمة الضمير جارية على لسان المسلم والكافر، والبر والفاجر، والرجل والمرأة... نرى صادقًا أو أمينًا فنصفه بأنه إنسان عنده ضمير، ونسمع بمن يغش أو يُسيئ معاملة الناس، فنقول: عديم الضمير، وأحيانًا نناشد الضمير العالمي، ونُهيب بالضمير الإنساني، ويستصرخ البعض بأصحاب الضمائر الحيَّة.

وقد نمر بالأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. فيعبر فريق عنها بقوله الأزمة أزمة ضمير، وكأنه متى وُجد الضمير فقد وُجِدَت الخيرات والبركات، ومتى غاب الضمير كان الخراب والدمار!!.

وبقي السؤال: ما المقصود بالضمير ؟!، وهل هذه

الكلمة المتداولة يُقصد بها الفطرة السويَّة والمراقبة والتَّقوى واليقين، وغير ذلك من معاني الإيمان؟! وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نستخدم المصطلحات الشرعية الواردة في الكتاب والسُّنَّة، والتي تكلم بها سلف الأمة ؟! ونعدل عنها إلى كلمات تحتمل الحق والباطل، أو إلى مصطلحات مستوردة فيها من الميوعة واللبس ما يشوش على عقول أبناء الأمة، ويضيع به مفهوم الولاء والبراء، ونحسّن به القبيح، ونُقبّح به الحسن؟!.

لقد نُهي المسلمون عن النطق بكلمة راعنا، وقيل لهم: ﴿ لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وكان اليهود ينطقون بهذه الكلمة، ويقصدون بها التنقص من شخص رسول الله ﷺ، وعلى الرغم من أنَّ المسلم إذا نطق بهذه الكلمة فلا يُمكن أن يقصد ذلك، حتَّى لا يتشبه بيهود.

وما من كلمة مستوردة أو مصطلح وافد إلاَّ وله مفهوم ومدلول عند أهله ككلمة الإشتراكية والديمقراطية.. فالترويج لهذه الكلمات، ترويجٌ لمعناها عند أهلها، وقد يتصادم هذا

المعنى مع ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، ومن ذلك كلمة الإنسانية التي روَّج لها اليهود، وأصبح العميان يرددونها دون وعي، فنفَذَ بها اليهود خلال المجتمعات، وبدلاً من أن يُصبح الحب في الله والبغض في الله، صار العمل لأجل الإنسانية والحب والبغض في سبيلها.

بل من عجيب الأمر ومن مظاهر الغربة، إساءة استخدام المصطلحات الشرعيّة ككلمة أهل الإيمان ويقصدون بها اليهود والنصارى والمسلمين!!!.

وكذلك كلمة المتدينين، وكلمة الأديان السماوية، ومن المعلوم أنَّ دين الحق واحد لا يتعدد ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾

[آل عمران: ٨٥].

وبالتالي فنسبة الأديان إلى السماء خطأ، نعم تعددت الشرائع، وشريعة الإسلام حاكمة ومُهيمنة على سائر الشرائع، وفي الحديث الذي رواه مسلم: «**والذي نفسي**

بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار» .

فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال؛ ولذلك وجب الحذر من الملاحدة والزنادقة والجهَّال الذين يلبسون الحق بالباطل، ويشوّهون الحقائق .

وقد ورد في حديث حذيفة ﷺ عن رفع الأمانة من القلوب وفيه : « ... **فيُصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحدهم يُؤدّي الأمانة ، فيُقال : إنَّ في بني فلان رجلاً أمينًا ، ويُقال للرجل : ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجلده ، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»** [رواه البخاري] .

أي أنَّ الموازين الشرعية الإيمانية تتغيّر، وتُصبح المقاييس هي العقل والظُّرف والجَلَد، ولذلك يحق لنا أن نتعجب من استخدام كلمة الضمير وما شابهها على هذا النحو الواسع المطرد، بل ونتخوف من أن تُصبح البديل عن كلمة الإسلام الواضحة، أو يروج بها للأفكار الفاسدة، وننبهر بسببها بالملاحدة والزنادقة .

نحن لا ننكر أنَّ الحق مقبول من كل من جاء به، وأنَّ الباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، وأنَّ الحق ما وافق الكتاب والسنة، والباطل ما خالف هذا المنهج القويم، والتعاون لإقامة العدل وردّ الحق لنصابه، وتفريج الكربات وقضاء الحاجات، كل ذلك مطلوب ومشروع، بل شهد النَّبيّ ﷺ حِلفًا في الجاهلية، في دار عبد الله بن جدعان، وكان لنصرة المظلوم، قرشيًا كان أو غير قرشي، وقال ﷺ : «**لو دُعيت به في الإسلام لأجبت**».

وعلى العبد أن يتَّقي ربه ويراقبه في غضبه ورضاه، وفي سره وعلانيته، وفي معاملته للمسلمين والكفار، وأن يحذر الظلم على نفسه حتَّى في علاقاته بأعداء الإسلام والمسلمين، وهذه المعاني نطقت بها نصوص الكتاب والسُّنَّة.

فهل إذا تكلم الكافر أو الفاجر بكلمة الضمير سيقصد هذه المعاني المذكورة ؟! إنَّ كل إناء بما فيه ينضح، فالإسلام ينضح طهارة وعفافًا وخيرًا، والكفر ينضح نجاسة وخبثًا ودمارًا، ولذلك قال سبحانه : ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ [التوبة: ٢٨].



بينما تنادي الملائكة على المؤمنين على أبواب الجنة وتقول: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) ﴾ [الزمر: ٧٣].

لابد من جهاد كبير لإحلال المفاهيم الشرعية محلها اللائق بها، حتَّى تصير واقعًا في حياتنا وحياة الناس، وحتَّى يصطلح كل فريق على حقه.

إنَّ الإسلام دعوة عالمية ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾ [الفرقان: ١] والواجب علينا أن ننصبغ بصبغة الإيمان ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ [الأنعام: ١٦٢] والإسلام شامل لكل ناحية من نواحي الحياة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

إنَّ العقول تفسد، والفطر تنتكس بإعراضها عن منهج الله، وقد يُصبح الحق باطلاً والباطل حقًا، والمنكر معروفًا والمعروف منكرًا، إذا امتلأت القلوب من معاصي الله،

ونصير كالمستجير من الرمضاء بالنار، إذا أحسنّا الظن بأعداء الله؛ فضمائرهم ميتة كقلوبهم.

والضمير العالمي الذي نناشده ما هو إلاَّ وهمٌ وسراب، يحسبه الظمآن ماءً، حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه، والله سريع الحساب.

خذ وصفهم من خالقهم، ولا ينبئك مثل خبير، قال تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [النساء: ٨٩]، وقال: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود: ١١٣]، وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال: ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولذلك كان الواجب أن تتعلق قلوبنا بالله في جلب النفع ودفع الضر، وأن نسعى في تربية النفس والدنيا من حولنا على معاني الإيمان والمراقبة لله تعالى؛ حتَّى تحيا

القلوب والأرواح بنور العلم النافع، والعمل الصالح، فتكون الخشية في السر والعلن، والغضب والرضا.

قال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكَّة، فانحدر علينا راعٍ من الجبل، فقال له: يا راعى بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إني مملوك، فقال: قل لسيدك أكلها الذئب. قال: فأين الله؟ قال: فبكى عمر، ثم غدا إلى المملوك، فاشتراه من مولاه، وأعتقه، وقال: أعتقَتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تُعتقك في الآخرة.

وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى، فسأله عن تفسيرها فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله عزَّ وجل.

وقال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء.

وقال أبو حفص: إذا جلست للناس فكن واعظًا لنفسك وقلبك، ولا يغرنَّك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله رقيب على باطنك.

وسُئل ذو النون: بمَ ينال العبد الجنَّة؟ فقال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة

لله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تُحاسب.

سُئل المحاسبي عن المراقبة فقال: أولها علم القلب بقرب الله تعالى.

وسُئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴿٨﴾ ﴾ [البيّنة: ٨] فقال: معناه، ذلك لمن راقب ربه - عزَّ وجل - وحاسب نفسه وتزوّد لمعاده».

وقيل: من راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه.

وقال الحسين: «رحم الله عبداً وقف عند همّه، فإنْ كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخّر».

وقال حُميد الطويل لسليمان بن علي: «عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت خاليًا ظننت أنّه يراك، لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت».

وذكر حاتم الأصم الأسباب التي دعته للدخول في التوكل، فقال: «علمتُ أنَّ رزقي لن يأخذه غيري،

فاطمأنَّت بذلك نفسي، وعلمتُ أنَّ عملي لن يعمله غيري، فأنا مشغول به، ورأيت الموت يأتي بغتة فقلت أبادره، ورأيت الناس ينظرون إلى ظاهري، والله ينظر إلى باطني، فرأيت أنَّ مراقبته أولى وأحرى» .

إنَّ الله تعالى أقرب إلى عبده من حبل الوريد، ولذلك كان لابد من تقواه ومراقبته سبحانه، ولذلك أنشد البعض:

إذا خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيب
ألم تر أنَّ اليوم أسرع ذاهب
وإن غداً للناظرين قريب

إنَّ المعاني الطيبة التي تنطوي عليها كلمة الضمائر، لا تخرج عمَّا جاء في كتاب الله، وفي سُنَّة رسول الله ﷺ وما سوى ذلك لا يلزمنا، وكلنا يقين أنَّ النَّبيّ ﷺ قد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على المحجة

البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك، فما ترك خيرًا يُقرب الأمة من ربها إلاَّ ودلَّها عليه، وما ترك شرًا يُباعد الأمة عن الله عزَّ وجل إلاَّ وحذّرها منه ونهاها عنه وأمرها باجتنابه، فجزاه الله خير ما جزى نبيًا عن أمته.

نحن بحاجة لإقامة الدنيا على أساس من دين الله، وأن نعود لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام، فقد كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا.

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها.

فاللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الاغتصاب
فتوى مهمة والتعليق عليها

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

بيان من فضيلة مفتي مصر
إجهاض المغتصبة وإعادتها عذراء جائز شرعاً

أكد الدكتور / نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر العربية أن إجهاض المغتصبة وإعادتها عذراء جائز شرعاً .

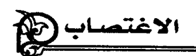
وقال في بيان بعث به إلى باب «مع القانون» أنه لا مانع شرعاً من إصدار تشريع ينظم ذلك ، مع وضع الضوابط التي تحكم ذلك ، لأن إعادة بكارة المغتصبة إليها ، هو إحياء لها ، ولعرضها ولشرفها بعد قتلها بدنياً ونفسياً ، وفيما يلي نص البيان :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي

بعده ، اطلعنا على ما كتبه المستشار عبد المنعم إسحاق محمد نائب رئيس هيئة قضايا الدولة في بابكم القيم « مع القانون » بعدد الأهرام الصادر في ٩ أكتوبر لسنة (١٩٩٨م) لإلغاء المادة (٢٩١) عقوبات والإبقاء على المادة (٢٩٠) وإسقاط جنين المغتصبة من الذئب البشري وإعادتها عذراء بعد تفريغ ما في أحشائها من نطفةٍ ملوثةٍ .

نفيد الآتي :

■ نوافق على اقتراح المستشار عبد المنعم إسحاق محمد لضرورة إلغاء المادة (٢٩١) عقوبات لتعارضها مع المادة (٢٩٠) عقوبات المعدلة ، والتي تقرر عقوبة الإعدام للذئاب البشرية التي تخطف الإناث وتغتصبهن؛ **وذلك لأن** الإبقاء علي المادة (٢٩١) عقوبات يقوض قصد المشرع من الهدف المنشود ، وهو حماية الأنثى من الذئاب البشرية التي تسلبها عرضها وشرفها وأعز ما تملك بطريقة الإكراه بعد اختطافها ، ويكون وسيلة للتحايل على إبطال المادة (٢٩٠) والقصد التشريعي منها من الناحية العملية ، **وذلك مما** يقوي مركز الجاني على حساب المجني عليها الضحية . ..



ورضا الأنثى بالزواج بعد الخطف والموافقة لا يُعدُ زواجاً شرعاً ، لأنه لابد في عقد الزواج المعتبر شرعاً وجود الولي والإشهار والإعلان والإيجاب والقبول والرضائية الكاملة ، والكفاءة بين الزوجين .

والزواج بعد الخطف قد خلا من هذه المعاني لأن المغتصب يقصد من وراء هذا الزواج الإفلات من العقوبة، كما أن الإيجاب والقبول مشوبان بالإجبار، حيث إنهما وقعا تحت ضغط الإفلات من العقوبة.

■ أما فيما يتعلق بمدى مشروعية العمليات الجراحية التي تُجرى للأنثى التي تم اختطافها وأُكرهت على مواقعتها جنسياً، وإزالة بكارتها من الذئاب البشرية بعد تفريغ ما في أحشائها من نطفة ملوثة .

فإننا نرى أنه لا مانع شرعاً من إصدار تشريع ينظم ذلك مع وضع الضوابط التي تحكم ذلك، لأن إعادة بكارة المغتصبة إليها هو إحياء لها ، ولعرضها ، ولشرفها بعد قتلها بدنياً ونفسياً ، والقاعدة الشرعية أن من أفسد شيئاً فعليه إصلاحه .

وإذا كان المجتمع قد قصر في حقها ، ولم يؤمنها في

نفسها وعرضها ، فقد وجب عليه جبر خواطرها وشفائها من كل أحزانها وآلامها بإصدار تشريع يُلزم ذوي الاختصاص والشأن بإعادة عذريتها إليها بعملية جراحية .

■ أما تفريغ ما في أحشائها من نطفة ملوثة للذئب البشري ، فنرى أنه لا مانع من ذلك شرعاً بناء على ما أجازه بعض الفقهاء ، وأقره مجمع البحوث الإسلامية قبل أن يمضي على الحمل مائة وعشرون يوماً ، وإذا أجاز ذلك في الحمل الحلال فهو في الحرام أولى .

أما إذا مضى على الحمل مائة وعشرون يوماً فإنه لا يحل إسقاط الجنين بحال ، لأنه في هذه الحالة يكون نفساً ذات روح يجب المحافظة عليها بالإجماع ، والاعتداء عليها لا يجوز بأي حال من الأحوال ، إلا إذا كان في استمرار وجوده خطرٌ حقيقي على حياة الأم ، حيث تُقدَّمُ حياةُ الأم على حياة الجنين ، لأن حياة الجنين قبل ولادته محتملة ، وحياة الأم متيقنة ، واليقين يقدم على الاحتمال والشك ، طبقاً للقواعد الشرعية .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

التعليق على فتوى المفتي

يتضح من كلام المفتي موافقته للنصوص الشرعية، ولقول جمهور العلماء عندما ذكر:

«أنه لابد في عقد الزواج المعتبر شرعاً ، وجود الوليّ والإشهار والإعلان والإيجاب والقبول والرضائية الكاملة، والكفاءة بين الزوجين» .

فالمرأة لا تزوج نفسها، وإنما يزوجها الوليّ، حتى وإن كانت ثيبًا؛ فلا نكاح إلاَّ بوليّ، ولا يجوز تزويج الأبعد في وجود الأقرب، والحاكم وليّ من لا وليّ له.

أما قوله في إعادة بكارة المغتصبة إليها ، فهو اجتهاد نتيجة لما يحدث في الواقع من ظلم وجهل ، وإلا فالمغتصبة مستكرهة ولا يزول عنها وصف البكر ، وتنكح بنكاح الحرة العفيفة ، ولا إثم عليها شرعاً.

والبكارة قد تتهتك بوثبة عالية أو حركة عنيفة – كما ذكر ابن تيمية –، فليست عنواناً للعفة في كل حال، وقد يحدث الدخول دون تهتك لها، لكونها من الأغشية المطاطة.

أما إجازته تفريغ ما في أحشائها من نطفة ملوثة ، قبل أن يمضي على الحمل مائة وعشرون يوماً ، فهو يستند في ذلك لما ثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه :

«يُجمع أحدُكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً، ثم أربعين يومًا علقة، ثم أربعين يوماً مضغة، ثم يأتيه الملك فيؤمر بأربع كلمات، أجله، وعمله، ورزقه، وشقي أو سعيد».

فهو في الأربعين يوماً الأولى يلتحق بالنطفة المهدرة، ويشتد النزاع في الأربعين يوماً الثانية ، ثم باتفاق العلماء يَحْرُمُ الإجهاض بعد المائة والعشرين يوماً، إذ يصبح الجنين روحاً محترمة .

وأما قوله: «إذا كان المجتمع قد قصّر في حقها... فقد وجب عليه جبر خواطرها» .

فيتضح منه أهمية إقامة الدنيا على أساس من دين الله؛ حتّى يشيع الأمن ويتحقق الأمان.

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** (٨٢) ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

والمسئولية هنا مشتركة بين الحاكم والمحكوم ، « **كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته** » [متفق عليه . البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)] .

فلو قصّر طرف، فلا يحل للطرف الآخر أن يُفرط، وبالتالي فلو قصّر المجتمع والولي في حق المرأة فليس لها أن تُقصّر في حق نفسها – ما وسعها الأمر– ، فيحرُم عليها التبرج والخضوع بالقول، والاختلاط بالأجانب، والسفر بدون محرم، وإدخال الأجانب البيت وهي بمفردها فيه . . .

فهذا حرام عليها، حتَّى لو أجازه المجتمع أو الولي؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وقوله : « وأقره (أي الإجهاض) مجمع البحوث الإسلامية قبل أن يمضي على الحمل مئة وعشرون يومًا، وإذا أجاز ذلك في الحمل الحلال فهو في الحرام أولى » .

هذا الإقرار ليس على عواهنه ، إذ لابد من إذن الزوج ، فله حق في الولد وإذنها وبشرط ألا يستتبع ذلك مضرة بجسد الزوجة ، فلا ضرر ولا ضرار ، وعدم قطع النسل

بالكلية ، وألا يكون ذلك خشية الفقر ، فهذا من سوء الظن بالله تعالى ، وأن تكون حالات فردية تدعو إليها الحاجة أو الضرورة، إذ الأمة مأمورة بتكثير نسلها .

والمقصود بقول المفتي : « وإذا جاز ذلك في الحمل الحلال – أي المتولد من الزواج الصحيح – فهو في الحرام أولى » .

لعل المفتي يقصد بالحرام أي الاغتصاب – فحديثه يتعلق بذلك – وإلا فقد فرّق البعض بين المتزوجة والزانية فإذا رُخِّص للمتزوجة في الإجهاض – وفق الضوابط الشرعية– فالزانية لا يباح لها ذلك ، إذ الرخص لا تناط بالمعاصي .

ولأن النبي ﷺ لم يدل الغامدية التي زنت على ذلك، بل تركها حتى تضع وتفطم ثم أقام الحد عليها ، ويبقى الكلام، إذا كانت ستقتل أو تهلك بسبب حملها، فهو موطن الاضطرار، إذ الضرورات تبيح المحظورات ، وتُقدّر بقَدرها .

ولا يخفى عليك صور الاغتصاب للمسلمات في البوسنة ، والعراق . . . على أيدي أعداء الإسلام والمسلمين،

ومدى الجرح والنكاية التي تحدثه للنفوس، ولكنها لا تُبرر الانتحار لمن اغتصبت؛ ولأن الاستكراه يلغي الاختيار ويرفع الإثم والذنب، فالمستكره يُنفذ إرادة من استكرهه.

قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النور: ٣٣].

وفي الحديث: «**رُفع لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استُكرهوا عليه**» [رواه ابن ماجه في كتابه الطلاق برقم (٢٠٣٣)، وراجع صحيح ابن ماجه للعلامة الألباني - رحمه الله -].

ومن فَعل ذلك بمسلمة فعليه حد الحرابة، فإن كان كتابيًا حلّ دمه، وانتقض عقده وعهده؛ إذ الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، والله أعلم. إذ رد العلم إليه أسلم.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وفرّج الكرب عن المكروبين، وعجّل بنصرك المبين يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العلمانية اللادينية
ومبدأ فصل الدين عن الدولة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

الفارق كبير بين الإسلام والعلمانية ، يظهر ذلك في المنشأ والطريق والغاية ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)** ﴾ [الملك : ٢٢]، والبصيرة تقتضي منا أن نستصحب هذه الموازين والضوابط الشرعية في حكمنا على الديمقراطية وما تنطوي عليه من مبادئ، وللإسلام حكمه فى كل شيء، وهو يعلو ولا يعلى عليه، بما فيه من سمات الربانية والعموم والشمول وغيرها، ومن لدن آدم حتى قيام الساعة لا يمكن أن تسعد البشرية بدونه ، وبحسب انحرافها عن منهج الإسلام بحسب الضنك والشقاء الذي تعانيه ، ولو جاز لنا أن نلتمس عذراً

للغرب أو الشرق في تباعده عن دين الله ومناداته بهذه المناهج والفلسفات، فإننا لا نجد عذراً لهذه الأمة في الانسلاخ عن دينها ومتابعتها للكفرة والملاحدة في فصل الدين عن الدولة ، وإسلامها يناديها من يوم بدر وأُحد ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

ومعلوم للقاصي وللداني أن النبي ﷺ أقام دولة بالمدينة واتسعت رقعتها في عهده وعهد الخلفاء من بعده، وكان يحكم بالإسلام لا بشيء سواه في نواحي الحياة المختلفة .

يقول النبي ﷺ : « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة** » ثم سكت » [رواه أحمد والطبراني والبزار ، انظر السلسلة الصحيحة للألباني] .

وإذا كانت معاني الخيرية قد قلّت في الأمة جيلاً بعد

جـيل، إلا أن حـكام المسلمين كـانوا يحـرصـون على الحكم بكتـاب الله وبسُّنة رسـول الله ﷺ ، وإن وجـدت أخـطاء في التطبيق وظلم وجهل في بعض الأحيـان ، فالعيب فينا وليس في شرع الله عز وجل ، وعلى العباد جميعاً أن يستقيموا على أمر ربهم إن أرادوا سعادة وفلاحاً في الدنيا والآخرة ، وقد استخدم أعداء الإسلام عيوب المسلمين وأخطائهم في التشهير بالإسلام ذاته ، والتنفير منه حتى يتيسر لهم إقصاءه عن الدنيا وحكمها ، وكأن علاج المريض هو البتر والإهلاك ، ولا سبيل لإصلاح العوج والخلل .

صنعوا ذلك مع الخلافة العثمانية والعباسية والأموية، بل وامتدت أيديهم إلى تزييف وتشويه وتدليس صور صحابة النبي ﷺ الكرام الذين نقلوا لنا الإسلام ، فدرسوا لنا قصة الخلاف بين عليّ ومعاوية وكذبوا على صحابة النبي ﷺ حين صوروهم على أنهم طالبو ملك ورئاسة يتنازعون على ذلك، ويحتال بعضهم على البعض الآخر .

وانحصر تاريخ الأمة بعد ذلك في قصة هارون الرشيد والخلافة العباسية – خلافة الفسق والمجون كما ذكروا –

والخلافة العثمانية التي هي خلافة الجهل والفقر والمرض !! وأصبح لزاماً على أبناء الأمة المسلمة أن يتطلعوا لتاريخ الشرق والغرب المجيد، وإلى عظمة الرجل الأبيض وحضارته، ولكي يتم لهم التقدم والتطور فعليهم أن يقلدوا الغرب، ولا سبيل لذلك إلا بفصل الدين عن الدولة، فيقبع الإسلام داخل المسجد بمن يسمون رجال الدين، وتحكم الدولة بعد ذلك بمن يسمون رجال الدولة «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» أو الدين لله والوطن للجميع .

ثم إذا طالب الناس بالعودة والرجوع لدين الله قالوا لهم: هل تريدون منا أن نعود لعهد هارون الرشيد أو عهود الديكتاتورية والرجعية والتخلف؟! وأصبحت الديمقراطية هي الحل البديل، والعلمانية اللادينية هي سبيل الإصلاح عند قوم قد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

العلمانية والعلمانيون في العالم العربي الإسلامي :

أصبحت الآن العلمانية هي اللافتة المرفوعة على أنظمة الحكم في معظم بلدان العالم العربي والإسلامي، وأصبح

يروج لها بكل وسائل الإعلام ، ويدعو ويبشر بها كتاب وساسة ومفكرون، وتقوم على أساسها أحزاب تحمل مبادئها ومن دعاتها « أحمد لطفي السيد – إسماعيل مظهر – قاسم أمين – طه حسين – عبد العزيز فهمي – ميشيل عفلق – أنطون سعادة – سوكارنو – سوهارتو – نهرو – مصطفى كمال أتاتورك – جمال عبد الناصر» وغير هؤلاء كثير ممن لا يزالون أحياء ينفثون سمومهم في جسم هذه الأمة.

يقول لطفي الخولي (أحد دعاة العلمانية المعاصرين) : في ندوة مناقشة ما يسمى بالتطرف الديني ، وكان العلمانيون قد تجاذبوا أطراف الحديث وأدلى كل منهم بدلوه حتى وصل الكلام إليه يقول : « مناقشتنا وصلت إلى نوع من الالتقاء على حل إيجابي هجومي يمكن أن نصوغه في أنه لابد أن تقام جبهة فكرية سياسية في العمل السياسي تتبنى مشروع التقدم والنهضة أي في إقامة الجبهة الوطنية التقدمية من خلال حركة ديمقراطية تعتمد الديمقراطية في التغيير » .

وقد بدأت العلمانية في أوروبا ، وصار لها وجود

سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية (سنة ١٧٨٩ م) ، وقد عمت أوروبا في القرن التاسع عشر ، وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتنصير الذي يطلق عليه اسم التبشير — وفي مصر أدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي (سنة ١٨٨٣ م)، وكان هذا الخديوي مفتوناً بالغرب وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا .

الجذور الفكرية والعقائدية لعلمانية اللادينية :

[١] العداء المطلق للكنيسة بصفة خاصة ، وللدين بصفة عامة أياً كان سواء وقف إلى جانب العلم أو عاداه ، ومعلوم أن العلمانية ولدت في أوروبا إثر الصراع بين العلم المادي التجريبي والكنيسة بخرافاتها وخزعبلاتها وفسادها باسم الكهنوت وبيع صكوك الغفران وتحريقها لكثير من علماء المادة الذين خالفوها ، ترتب على ذلك انهزام الكنيسة في النهاية أمام العلم المادي التجريبي وظهرت المقولة بفصل الدين عن الدولة ومقولة : « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

[٢] لليهود دور بارز في ترسيخ وإبراز العلمانية؛ حتى يتيسر لهم السيطرة على أمم الأرض بعد تكسير حاجز الدين في نفوس العباد ، ومعلوم أن اليهود يسعون من أجل إقامة دولة اليهود العالمية عاصمتها القدس، ولذلك ولّدوا الثورات كثورة فرنسا بمبادئها التحررية، وصدّروا هذه المبادئ الخربة للعميان، واستخدموا في ذلك أذناباً لهم ، وما زالوا حتى هذه اللحظة يعممون نظرية العداء بين العلم من جهة والدين من جهة أخرى، على الرغم من أن الإسلام لم يقف ضد العلم والأخذ بأسباب التحضر والتقدم كما وقفت الكنيسة، ويكفينا قول الله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقول النبيّ ﷺ : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير** » [رواه مسلم].

﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩] وذلك في كل ناحية من نواحي الحياة ، وقد أطلق بصر العباد ، وحث على التدبر والتفكير في ملكوت السماوات

والأرض ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وختمت آيات كثيرة بقوله تعالى: ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون - لقوم يتفكرون ﴾ .

والإعجاز العلمي في القرآن أظهر من أن يجحده أحد، وما من حقيقة ثبتت في الكون ويتعرف عليها الخلق إلا وهي موافقة للسنن الشرعية، وإن كان القرآن ليس كتاباً للفلك أو الأحياء، إنما كتاب هداية ورشاد، والعلوم النافعة تؤخذ من كل من أفلح فيها كائناً من كان.

والواجب على الأمة أن تسعى لإقامة حضارة على منهج العبودية لله جل وعلا، والتسليم لحكمه سبحانه لا لحضارات القلق الزائفة هذه التي قامت على أساس الكفر العلماني اللاديني، والتي أوشكت بل أعلنت إفلاسها ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

الأفكار والمعتقدات العلمانية :

[١] بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً ، وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين منهج الله وبين حياة الإنسان .

[٢] الحياة تقوم عندهم على أساس العلم المطلق ، وتحت سلطان العقل والتجريب .

[٣] إقامة حاجز كثيف بين الروح والمادة والأخلاق أو القيم الروحية كما يسمونها هي قيم سلبية .

[٤] فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي .

[٥] اعتماد مبدأ الميكافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .

[٦] نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى .

وفي بلدان العالم العربي والإسلامي ركزوا في هجومهم وتزييفهم على عدة معان منها :

[١] الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .

[٢] الزعم بأن الإسلام قد استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية .

[٣] الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف .

[٤] الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .

[٥] تشويه الحضارة الإسلامية .

[٦] تضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي، والزعم بأنها حركات إصلاح كالمعتزلة والخوارج .

[٧] إحياء الحضارات القديمة كالفرعونية في مصر، والبابلية في العراق، والآشورية في الشام ، والاهتمام بالحفريات القديمة .

[٨] اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب ، ومحاكاته فيها ، وإرسال البعثات إلى الخارج دون أسس أو حصانة شرعية ، ثم يعودون صرعى الفكر العلماني ليقودوا الأمة قيادة لادينية ، في الوقت الذي حصلوا فيه على أعلى الشهادات العلمية .

[٩] تخريج أجيال يقودون البلاد والعباد قيادة علمانية بعد ذلك، ولذلك أصبحت المدارس إما مدارس علمانية، وإما مدارس تبشيرية «أي تنصيرية»، وقد رفض الشيوعيون كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوماً برجوازية كما يقولون، وشعروا بحاجتهم إلى بناء كافة العلوم في ضوء المفاهيم الماركسية اللينينية بل كانوا ينقلون أبناء الأفغان المسلمين إلى روسيا ليتعلموا وفق هذه المفاهيم، وحتى يسهل عليهم قيادة البلاد قيادة إلحادية بأمثال هؤلاء الذين تربوا على موائدهم.

فنحن في أمسّ الحاجة إلى إعادة صياغة المناهج التعليمية والتربوية وفق كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ ، وفارق كبير بين الصياغة الإلحادية التي تخرج أجيالاً من الملاحدة، وبين الصياغة الإيمانية التي تخرج علماء مؤمنين يتكلمون بلسان المسلمين، ويفكرون بعقليتهم، ويقودون البلاد قيادة إيمانية يتأسون فيها بخير القرون، وبمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

فمن قال : أن الإسلام يعني التخلف ويحارب العلم ، كان الرد أن يمتلك المسلمون القوة وأن يتعلموا ، ومن قال : أن الإسلام لا يصلح لحياة الناس. كان الرد هو إقامة الإسلام العلمي الواقعي ، وهكذا يصبح الحق حقاً والباطل باطلاً ، وليس الدليل في كل وقت كلاماً، فالعالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وإقامة دليل للرد على كل شبهة أما إذا أصبحت الكتب والأوراق فقط هي الميدان الذي نحارب من خلاله، فإننا ولا شك نخسر المعركة ، فالرد يكون كلاماً في مقابلة الكلام ، وعملاً في مقابلة الأعمال، فإذا أفرزت العلمانية والإلحاد انحرافاً ونجاسة فيجب على التوحيد أن يوجد طهراً واستقامة .

وإذا كانت هذه النظم الوضعية تعني الظلم، فالتوحيد يعني العدل، فالعدل يجب أن يكون واقعاً محسوساً، والإسلام يجب أن يكون واقعاً مطبقاً وليس مجرد قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك ، ويوم نملك لكل شبهة جواباً يراه الناس أفعالاً لا كلاماً فقط ، حينئذ نستطيع بحول الله

وقوته وتوفيقه أن نقضي على هذه المناهج والزبالات التي تفتقت عنها عقول البشر .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الهجوم على الحجاب لماذا

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد :

فإن العداء السافر للإسلام ولشعائره ولكل من يتمسك بها أمر لا ينبغي أن يخفى على أحد وهذا يحدث هنا وهناك بل هو يحدث اليوم كما حدث بالأمس وما يورد الآن بفرنسا من منع الحجاب والتضييق على المحجبات خير شاهد على ذلك، ومن عجيب الأمر أنه يتوافق ويتزامن مع هذه الهجمة المسعورة على هذا الستر والزي في بلادنا وهذا بدوره يعكس حقيقة الصراع بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر وبين الفضيلة والرذيلة معركة بدأت ولم تنته

بعد والجهاد حاضر في الأمة لن يبطله جور جائر ولا عدل عادل حتى يقاتل آخر رجل في الأمة المسيح الدجال.

وقد بدأ الصراع بين أبينا آدم من جهة وبين إبليس من جهة أخرى ، ثم بين بني آدم وبني إبليس، والشيطان لا ينام ولو نام لاسترحنا إلا أنه يعمل ليل نهار ومن أجل إنفاذ ما قطعه على نفسه وقال : ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [النساء : ١١٨، ١١٩] وقال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٢] وقال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] وهو في ذلك يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير فافترق الناس إلى أولياء للرحمن وأولياء للشيطان ، وأولياؤه لا ينامون بل يصلون الليل بالنهار وتضيق صدورهم بكل طاعة ، وتشرئب أعناقهم لكل معصية ، يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وأحدهم إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد يقول تعالى : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾

[الممتحنة : ٢] ويقول سبحانه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] ويقول عز من قائل : ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦] ويقول أيضاً : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران : ١١٨] ، فعداوتهم ظاهرة وحربهم سافرة ولذلك حذرنا جل وعلا فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١] .

وهذه المعركة يستخدم فيها أعداء الإسلام والمسلمين كل وسائل الغزو سواء كانت عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو فكرية حتى يتباعد المسلمون عن دينهم ويكفرون بخالق الأرض والسماوات وإذا لم تفلح صورة من صور الغزو يلتجئون للثانية ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨] .

وتحت شعار الحرية الشخصية نشروا كل كفر وفجور ومهدوا للفحش والتفحش في ديار المسلمين، وفرنسا كما

يزعمون هي أم المبادئ التحررية في العالم فلماذا ضاقت صدورهم بالحجاب هناك ؟، ولماذا لم يطبقوا شعار الحرية الشخصية على المحجبات كما طبقوه على كل صور التحلل الخُلُقي التي فاح عطنها ونتنها ؟، ولا إجابة على ذلك إلا أنهم يعلمون أنه شعار تقف العقيدة الإسلامية خلفه وأنه حكم شرعي له ما بعده من صيانة وعفاف وطهر للمرأة بل عصمة للمجتمع من الافتتان بها ، وحتى تستطيع إذا التزمت به مع سائر الأحكام الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في النظام الإسلامي أن تؤدي دورها في صناعة الأجيال ، وبالتالى المساهمة في نصر الإسلام والتمكين له، وللجاهلية صور مكرورة وفيها تبرج الجاهلية يقول تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾

[الأحزاب : ٣٣].

وقيل في صفة *التبرج*: أن المرأة كانت تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال ، وأنها كانت تظهر خصلة من خصلات شعرها أو تسير مختلطة بالرجال ، فنهى الله عن ذلك.

ولاشك أن الجاهلية المعاصرة لا تقل عن الجاهلية الأولى حين يسمح للنساء السير بملابس البحر بدعوى الحرية الشخصية ثم يمنعون الحجاب الشرعي. وقد انتقلت فرنسا ، ومن سار على طريقها وحذا حذوها من جاهلية إلى جاهلية أخرى، ومن ظلم إلى ظلم ، وقد نص القانون الفرنسي بعد الثورة الفرنسية على أن القاصرين هم الصبي والمجنون والمرأة حتى عدل عام ١٩٣٨ ، ولا تزال فيه بعض القيود على المرأة المتزوجة، وإهانة المرأة في الجاهلية عند العرب كانت لا تقل عن الجاهلية الفرنسية ، فقد كانوا يحرمونها من الميراث وإذا مات زوجها أسرع أحد الورثة ، وألقى ثوبه عليها حتى يحوزها ويفوز بها ، وغير ذلك كثير من صور النكاح الهمجي، وعاداتهم فى الطلاق والحداد ووأد البنات، ثم كانت الجاهلية المعاصرة بما فيها من عري وخلاعة ومجون وتحلل خلقي ، وكأنه من مستلزمات التطور ، وكأن تقدم الأمم وتطور الشعوب لا يتم إلا بذلك، وانخدع بهذا الزيف بعض من لا خلاق له من هذه الأمة ، فرأى أن التحضر والتقدم لا يتم إلا بأن يأخذ كل ما عليه الغرب،

حتى هذه النجاسات الموجودة فى أمعائهم ، وأنه لابد من التغريب حتى نلحق بركب الحضارة ، فلم يفرقوا بين العلوم النافعة التى تؤخذ من كل مَنْ أفلح فيها وبين هذا الدمار والسم الزعاف.

ورحل الاستعمار وترك فكره يحكم بل وربى أيضًا من يحكمون بمنهجه ويدينون بالولاء له في ديار المسلمين، وكان من بين هؤلاء (قاسم أمين) الذي أطلقوا عليه اسم محرر المرأة والذي تربى فى فرنسا وعلى موائدها فألف «تحرير المرأة» سنة ١٨٩٩ ، و «المرأة الجديدة» سنة ١٩٠٠ ، وعند موته أقام الإنجليز له حفل تأبين سنة ١٩٠٨ ، وأشادوا فيه بدعوته إلى السفور، فقام مصطفى كامل بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب ، ولإبراز أصابع الإنجليز في فتنة السفور .

يقول مصطفى كامل في جريدة اللواء : هذا وقد انتشر خبر كتاب تحرير المرأة في جهات الهند، واهتم الإنجليز ببث قضاياه وإذاعة مسائله اهتمامًا عظيمًا لما رأوا في العمل به فائدة لهم .



بل من عجيب الأمر أن هدى شعراوى وهى أول امرأة أسست الاتحاد النسائي المصرى سنة ١٩٢٣ ، وأول امرأة تسافر بلا محرم إلى أوروبا كان المطلب الأول الذى تقدمت به بعد رجوعها لرئيس الوزراء هو رفع الحجاب عن المرأة ، ولما وصلت إلى هنا نزعت الحجاب أمام الجماهير هي وسيزا نبراوي سكرتيرتها وداستاه بأقدامهما.

تزامن غريب وعلاقات مشبوهة ، والباطل صوره مكرورة يحدث هنا كما يحدث هناك .

أولياء الشيطان:

والشيطان أولياؤه قد ركزوا على كل قطاع من قطاعات الحياة، وعلى كل فئة من فئات الناس للإفساد، ونالت المرأة من التركيز النصيب الأوفى حتى قال بعض الماسون : تأكدوا تماما أننا لسنا منتصرين على الدين إلا يوم أن تشاركنا المرأة فيه فتمشى فى صفوفنا، ويقول الرئيس بورقيبة لابد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا ونخلصها من قيود الدين، وفى سنة ١٩٠٩ عقد مؤتمر تبشيرى فى القاهرة، وكان

أهم قراراته إنه لا سبيل لنا إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح ، وأن عدد المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل شاطر مجد للوصول إليهن يجب أن يكون بذله أوسع مما بذل إلى الآن .

وقالوا لا نقترح إيجاد منظمات جديدة ولكن نطالب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل واضعة نصب عينيها هدفًا جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل .

وقامت جمعيات نسائية تحمل شعار الماسونية ، وتسير على ركبها تارة باسم المساواة البريئة أو التقدم وركب الحضارة ، وباسم التقدم ترى ملكات جمال العالم ، وباسم الفن خرجت النساء للتمثيل والغناء والرقص، وباسم السياسة عينت المرأة رئيسة ووزيرة، فكانت فتنة نعوذ بالله منها. يقول النبيُّ ﷺ : «**ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء** » [رواه مسلم]، وقال ﷺ : «**إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر ماذا تفعلون، فاتقوا الدنيا**

واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء» .

ولا شك أن بلية هذه الأمة الآن بالنساء لا حد لها ، وقد تابعنا فى ذلك كل ملحد كفار. يقول النبى ﷺ : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** . قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال: «**فمن الناس غير هؤلاء**» ، وقد حدث ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات ربى وسلامه عليه ، وظهرت الكاسيات العاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، ويقول النبي ﷺ : « **لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر**» [رواه مسلم].

وقد نقل صاحب كتاب تحفة العروس كلام المناوي في فيض القدير في شرح هذا الحديث ما ملخصه : « أي لولا خيانة حواء لآدم فى إغوائه وتحريضه على مخالفة الأمر بتناول الشجرة لم تخن أنثى زوجها ، لأنها أم النساء ، فأشبهتها ، ولولا أنها سنت هذه السنة لم تسلكها أنثى مع زوجها ، فلما خانت سَرَتْ في بناتها الخيانة، فقلما تسلم امرأة من خيانة زوجها بفعل أو قول ، وليس المراد الزنا حاشا

وكلا لكن مالت إلى شهوة النفس إلى أكل الشجرة ، وزينت ذلك لآدم مطاوعة لعدوه إبليس ، عدّ ذلك خيانة له وأما من بعدها من النساء ، فخيانة كل واحدة منهن بحسبها.

وفي هذا الحديث إشارة إلى تسلية الرجال لما يقع لهم مع نسائهم ، كما وقع من أمهن الكبرى ، وإن ذلك من طبيعتهن والعرق دساس ، فلا يفرط في لوم من فرط منها قصداً أو نادراً.

التمسك بالدين:

ولا ينبغي للنساء الاسترسال على هذا النوع بل بضبطهن أنفسهن، ويجاهدن هواهن ، ليكون لهن الثواب عند الله تعالى والمكانة السامية عند الرجل. وننقل أيضاً كلام العلامة صديق حسن خان في كتابه حسن الأسوة في معنى فتنة النساء: ووجه كونهن أضر لأن الطباع تميل إليهن كثيراً وتقع فى الحرام لأصلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن وأقل ذلك أن ترغبه فى الدنيا وإفسادها أضر. اهـ

وقد تأججت نار الفتنة باستجابة المرأة لهذه الدعوات الفاجرة، وخروجها متبرجة ، واختلاطها بالرجال ، وقد حذر الشرع من التقليد الأعمى ، ومن السير على غير هدى وبصيرة فلا يكونن أحدكم إمّعة إن أحسن الناس أحسنتم ، وإن أساءوا أسأتم، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم.

وكان ابن مسعود ﷺ يقول : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن أحسن أحسن، وإن كفر كفر » .

وإذا كانت الغربة قد استحكمت والفتنة قد تمكنت، وصور الكيد والحرب قد فاقت كل حد وتخيل فإن هذا كله لم يمنع الأمة من أن تستفيق من نومها وتستيقظ من سباتها لتعاود الرجوع إلى إسلامها ودينها مرة أخرى ، فكانت هذه الصحوة وهذه الاستجابة التى نستبشر بها ومعها كل خير بإذن الله فلكل مقدمة نتيجة ، وأول السيل قطرة، ومسيرة آلاف الأميال تبدأ بخطوة واحدة.

هذه الاستجابة لأمر الله قد غيرت حسابات كثيرة، وقلبت موازين عديدة عند أعداء الإسلام ، وأسقط في

أيديهم فقد كانوا يظنون أن الأمة الإسلامية قد انتهت إلى غير رجعة، ولكن الله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون ، فقام الناس رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً يستنون بسنة رسول الله ﷺ ويحرصون على اتباع شرع الله، ولاشك أن هذه الاستجابة تقلق الشيطان وأولياءه وخصوصًا وهم يعلمون طبيعة هذه الدعوة بل وقيمة من يستقيم عليها ، فقد كان بسمارك الألماني يقول : أعطوني عشرة آلاف مسلم وأفتح لكم بهم العالم ، وكان وزير الخارجية البريطاني في مجلس العموم يقول : إن العقبة الكئود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد الإسلام هذا المصحف وهذه الكعبة .

دور المرأة في صلاح المجتمع:

والمرأة بصفة خاصة دورها كبير في هذه الصحوة ، وهذه الاستجابة ، فبصلاحها تنصلح الأمة ، وبفسادها يصيب الأمة غضب وشر وفساد، فعليها بطاعة الله والحرص على تقواه والاستجابة لأمر الرحمن والتباعد عن خطوات الشيطان وأن تلزم المهمة والدور الذى هيأها ربنا جل وعلا من أجله :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ويقول النبي ﷺ : «**والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**».

وفى ذلك يقول الأخ الفاضل محمد إسماعيل ـ حفظه الله ـ : «وليست المرأة التى نريد أن نعيدها إلى الحجاب هي المرأة الجاهلية المتخلفة فإن الدعوة إلى فريضة الحجاب والعودة إليه لابد أن تواكبها دعوة القائمين بأمر المرأة إلى أن يؤدوا لها فريضة تحرير عقلها من حجب التضليل والجهل والتخلف التى أباها ديننا الحنيف... إلى أن قال : من هنا كان لابد من هذه الوقفة مع المرأة ، كيف سقطت صديقة في الجاهلية الأولى والآخرة، وكيف أعزها الإسلام ، وكرمها وحدد لها دورها في الحياة، ما حقوقها؟ وما واجباتها ؟ ثم كيف تأثرت بهذا التكريم فمارست دورها العظيم ، وخلقت لنا تاريخًا مجيدًا حافلاً بسيرتها العطرة، كأم وزوجة وابنة وكمؤمنة مجاهدة صابرة، وكعاملة فقيهة محدثة ، وكعابدة خاشعة قانتة حتى بان للجميع ما الذي كان يخفيه الحجاب ، والذي كان يدور خلف الخدور؟ إنها

الثمرات المباركة التي جنتها الأمة من وراء الحجاب ، إنه الشرف العزيز الذي صانه الحجاب ، وهنّ خريجات مدرسة الحجاب قبل أن تعرف الدنيا مدرسة وقبل أن يطرق سمعها حقوق المرأة وتكريمها . ا هـ .

ولا يخفى على كل من له معرفة ما عمت به البلوى في كثير من النساء وسفورهن، وعدم تحجبهن من الرجال وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم الله عليهن إبدائها، ولاشك أن ذلك من المنكرات العظيمة والمعاصي الظاهرة، ومن أعظم حلول العقبات ونزول النقمات، لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش وارتكاب الجرائم وقلة الحياء وعموم الفساد، فالواجب على الرجال أن يمنعوا النساء مما حرم الله عليهن وإلزامهن التحجب والتستر حذراً من غضب الله وعظيم عقوبته **«والرجل في بيته راع ومسئول عن رعيته»**، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»** [رواه أحمد والترمذي].

مواصفات الحجاب الشرعي :

والحجاب الشرعي الذي ترتديه المرأة المسلمة ، وتحرص عليه تنفيذًا لأوامر ربها ، له مواصفات يجب أن تتوافر فيه، سواء تواجدت المرأة هنا في مصر أو هناك في فرنسا أو غيرها، وهذه المواصفات هي :

[١] أن يكون الحجاب ساتر البدن لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩]

[٢] أن يكون كثيفًا غير رقيق لأن الغرض من الحجاب الستر فإذا لم يكن ساترًا لا يسمى حجابًا لأنه لا يمنع الرؤية، ولا يحجب النظر .

[٣] ألا يكون زينة في نفسه يلفت الأنظار؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه ولا يسمى حجابًا لأن الحجاب هو الذي يمنع ظهور الزينة للأجانب .

[٤] أن يكون فضفاضًا غير ضيق ولا يشف عن البدن، ولا

يجسم العورة ، ولا يظهر أماكن الفتنة في الجسم، وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: « **صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » ، وفي رواية أخرى «**وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**» [رواه مسلم].

[٥] ألا يشبه لباس الكافرات لقوله ﷺ : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » .

[٦] ألا يشبه زي الرجال أو مما اختص به الرجال لحديث أبي هريرة « **لعن النبى ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبس الرجل** ». وفى الحديث أيضًا «**لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**».

[٧] ألا يكون الثوب معطراً ، وقد أخرج أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن تفلات** »، أي: بلا طيب، فإذا كانت المرأة غير متطيبة ، فلا يحرم منعها كما جاء في حديث مسلم عن زينب امرأة عبد الله ابن مسعود قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: « **إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا** »، وأخرج الشيخان، وأبو داود عن عائشة قالت : « **لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعه نساء بنى إسرائيل** ».

[٨] ألا يكون ثوب شهرة لقول رسول الله ﷺ : « **من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً** » [أخرجه أبو داود وابن ماجه ، وإسناده حسن كما قال المنذري].

قال الشوكاني: والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة، وليس هذا الحديث مختصاً بنفيس الثياب ، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبًا يخالف ملبوس الناس من

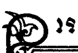
الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه (قاله ابن رسلان) .

وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها ، الموافق لملبوس الناس والمخالف؛ لأن التحريم يدور مع الاشتهار ، والمعتبر القصد ، وإن لم يطابق الواقع . ويقول ابن رسلان : إنما كان الوعيد لأنه لبس ثوب شهرة في الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره ، فيلبسه الله يوم القيامة ثوبًا تشتهر به مذلته واحتقاره، بدلهم عقوبة به .

الجزاء من جنس العمل:

والعقوبة من جنس العمل ، هذا وإذا كانت فرنسا قد منعت الحجاب في المدارس والجامعات خشية الغزو الفكري، ألا يدعو ذلك للتعجب من حالة هؤلاء الذين يخشون على باطلهم من الزوال إذا دخلوا معركة مع الحجاب .

ونعود لنقول لا عجب منهم ، بالأمس القريب تنادوا ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص : ٦] وصدق الله إذ يقول في شأن هؤلاء وما هم عليه من



الباطل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

والواجب على الأمة المسلمة أن لا يسمحوا بالكفر ولا الرزيلة في ديار المسلمين ، وأن يحتاطوا لجميع صور الحرب والغزو التي يمارسها أعداء الإسلام والمسلمين ، ومن أقبحها صورة الغزو الفكري ، وأن يعتصموا بحبل ربهم ، ويستمسكوا بدينهم ، ويدوروا مع إسلامهم حيث دار ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وفي تفسير هذه الآية قال الإمام الشافعي: إجماع الصحابة فمن بعدهم على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ما كان له أن يدعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان ، بل الواجب المسارعة لامتثال أمر الله دون تراخي أو

تكاسل فقد روى ابن أبي حاتم من حديث صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة ﵄ : إن لنساء قريش أَفْضُل وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقًا لكتاب الله وإيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابة فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان (والاعتجار: هو لف الخمار على الرأس مع تغطية الوجه) والمؤمنة التي تؤمن بالله وتخاف سوء الحساب تستشعر الإثم والذنب في التفريط فى الحجاب الشرعي لدلالة الكتاب والسنة على ذلك ، يقول الله تعالى :﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

وفسر ابن مسعود ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بالثياب ،

﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ ، قال لا خلخال ولا شنف ولا قرط ولا قلادة.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في كتاب الأشربة في أثناء تعريف الخمر: ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها وقال القزاز: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها ، وتكشف ما قدامها فأمرن بالاستتار، ويقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

روى ابن جرير الطبري فى تفسيره عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلماني عن قول الله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى .

وذكر ابن كثير فى تفسيره (جـ (٣) ص٥١٨) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله النساء المؤمنات إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين

وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة، وقال ابن حزم في المحلى: والجلباب التي خاطبنا بها رسول الله ﷺ هو ما غطى جميع الجسم لا بعضه، وصححه القرطبي في تفسيره ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه حجاب المرأة ولباسها في الصلاة، وكانوا قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن لا حجاب، يرى الرجال وجهها ويديها، وكان إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين ، وكان حينئذ يجوز النظر إليها لأنه يجوز إظهاره، ثم لما أنزل الله عز وجل آية الحجاب بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ حجب النساء عن الرجال. اهـ بتصرف.

ويقول أيضًا: الجلباب هو الملاءة، وهو الذي يسميه ابن مسعود وغيره الرداء ، وتسميه العامة الإزار وهو الإزار الكبير الذي يغطي رأسها وسائر بدنها، وقد حكى عبيدة وغيره : إنها تدنيه من فوق رأسها فلا تظهر إلا يمينها وجنسها من النساء ينتقبن. فإذا كن مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن، وهو ستر الوجه، أو ستر الوجه بالنقاب كان حينئذ الوجه واليدان



من الزينة التي أمرت ألا تظهرها للأجانب فما يبقى يحل للأجانب النظر إلا للثياب الظاهرة ، ثم قال وعكس ذلك الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تبدي ذلك للأجانب بخلاف ما كان قبل النسخ بل لا تبدي إلا الثياب. ونقل الصابوني في كتابه روائع البيان طائفة من أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ .

فقال : قال ابن الجوزي في قوله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ أن يغطين رؤوسهن ووجوههن ليعلم أنهن حرائر والمراد بالجلابيب الأردية قاله ابن قتيبة ، وقال أبو حيان في البحر المحيط: وقوله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ شامل لجميع أجسادهن أو المراد بقوله عليهن أي وجوههن لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه.

وقال ابن مسعود : والجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى فيه ما ترسله على صدرها، أو معنى الآية أي: يغطين وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعي.

وعن السدي : تغطي إحدى عينيها وجبهتها، والشق الآخر إلا العين.

وقال أبو بكر الرازي : وفي هذه الآية ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ من جَلابِيبِهِنَّ ﴾ دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع فيهن أهل الريب، ثم قال الصابوني هذا وأمثاله وكثير من أقوال مشاهير المفسرين يدل دلالة واضحة على وجوب ستر الوجه وعدم كشفه أمام الأجانب اللهم إلا إذا كان الرجل خاطبًا أو كانت المرأة في حالة إحرام بالحج. ويقول تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ منَ النّسَاء اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَات بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٠]

والقاعدة : هي المرأة الكبيرة المسنة يجوز لها أن تضع جلبابها، وتكتفي بالدرع والخمار بشرط ألا تكون مزينة، وإذا استترت بجلباب فهو خير لها. ففرق الشرع بين الشابة التي تشتهي ، وبين العجوز المسنة التي ليست كذلك وبين المتزينة وغير المتزينة .

روى سعيد بن منصور ، وابن المنذر والبيهقي في سننه عن عاصم الأحوال قال كنا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت هكذا وتنقبت به فنقول لها: رحمك الله قال الله تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ [النور : ٦٠] هو الجلباب ، قال : فتقول لنا: أي شيئًا بعد ذلك فنقول: وأن يستعففن خير لهن. فتقول: هو إثبات الحجاب، وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ .

قال الشيخ السندي : « نهاهن جل وعلا عن ضرب الأرجل على الأرض بشدة لئلا يسمع صوت الخلاخل التي في أرجلهن حرصًا على شرفهن وسدًا للذرائع ومنعًا لوقوع الفاحشة فهذا غاية في الصون والحفظ، فإذا كان صوت الخلاخل ممنوعًا بهذا النص الكريم، فكيف يجوز للمسلم أن يقول: إن الوجه والكفين ليستا من العورة والزينة، ويجوز كشفهما أمام الأجانب، اعتمادًا على تلك الروايات الضعيفة المنكرة، والتي لم تصح أسانيدها. إنها لا

تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

الرد على من أباح للمرأة أن تكشف وجهها:

هذا والأحاديث عن رسول الله ﷺ كثيرة في حجاب المرأة ، ووجوب تغطية المرأة بدنها بما فيه الوجه ، فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : أن النبيّ ﷺ قال: « **لا تنتقب المحرمة ولا ترتدي القفازين**» رواه البخاري. قال ابن تيمية: وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن.

قال ابن القيم في تهذيب السنن: وأما نهيه ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما « **المرأة تنتقب ولا تلبس القفازين**» فهو دليل على أن وجه المرأة كبدن الرجل لا كرأسه فيحرم عليها فيه ما وضع وفضل على ستر الوجه كالنقاب والبرقع، ولا يحرم عليها ستره بالمقذمة والجلباب ونحوهما ، وهذا أصح القولين.

فإن النبيّ ﷺ سوّى بين وجهها ويديها ومنعها من القفازين والنقاب، ومعلوم أنه لا يحرم عليها ستر يديها



وإنهما كبدن المحرم يحرم سترهما بالمفصل على قدرهما وهما القفازان .

فهكذا الوجه إنما يحرم ستره بالنقاب ونحوه. وليس عن النبيّ ﷺ حرف واحد في وجوب كشف المرأة وجهها عند الإحرام إلا النهي عن النقاب وهو كالنهي عن القفازين فنسبة النقاب إلى الوجه كنسبة القفازين إلى اليد سواء، وهذا واضح بحمد الله وقد ثبت عن أسماء أنها كانت تغطي وجهها وهي محرمة وقالت عائشة ﵂: كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذوا بنا أسدلت كل واحدة بجلبابها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه. [ذكره أبو داود] .

وقال ابن القيم في أعلام الموقعين : ومن ذلك أن النبي ﷺ قال : « **لا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين** » تعين في الإحرام، فسوّى بين يديها ووجهها في النهي عما صنع على قدر العضو، ولم يمنعها من تغطية وجهها ولا أمرها بكشفه البته. ونساؤه ﷺ أعلم الأمة بهذه المسألة، فقد كنّ يسدلن على وجوههن إذا حاذاهن الركبان، فإذا جاوزهن كشفن وجوههن اهـ .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد » [متفق عليه] ، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: « كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم ، وكان رجل أعمى، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبي ﷺ : «**احتجبا منه**» ، فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي ﷺ : «**أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه** » .

وبوب عليه الترمذي بقوله : « باب ما جاء فى احتجاب النساء من الرجال وقال هذا حديث حسن صحيح، وكما ترى هنا الحجاب ليس خاص بأمهات المؤمنين بل هو حكم عام لجميع النساء وهذا ما فهمه الترمذي من الحديث .

وكما نهى النبي ﷺ فاطمة بنت قيس عن الاعتداد عند أم شريك. قال: «**فإن أم شريك كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط منك خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك ما تكرهين** » . وأذن لها في

الاعتداد عند ابن أم مكتوم الأعمى ، وقال لها: «**فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك**». وذلك يقتضي ستر وجهها عن الرجال الأجانب.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى ، العواتق والحيَّض ، وذوات الخدور ، فأما الحِيَّض فيعتزلن الصلاة ويشهدنَ الخير ودعوة المسلمين قلت : يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: « **لتلبسها أختها من جلبابها** » . [رواه أحمد والشيخان] .

والجلباب يغطي الرأس والوجه وارتداؤه هو الأصل، وإن النساء كن لا يخرجن إلا متجلببات لا يبدو منهن شيء، ويقول النبي ﷺ: « **المرأة عورة** » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب، ولم يستثنِ النبي ﷺ شيئًا من المرأة، وقال ابن تيمية : قال أحمد – رحمه الله – كل شيء منها عورة حتى ظفرها. قال: وهو قول مالك .

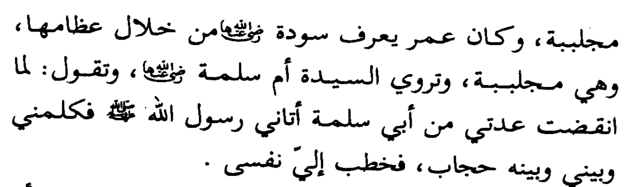
وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، فقالت أم

سلمة رضي الله عنها: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟، قال: «**يرخين شبراً**»، فقالت: إذن ينكشف أقدامهن، قال: «**فيرخين ذراعاً، ولا يزدن عليه**».

فإذا كان الأمر هكذا في القدمين، وهما من العورة، فكيف بما فوقهما من سائر أجزاء البدن، ولا سيما الوجه الذي هو جميع محاسن المرأة وأعظم ما يفتتن به الرجال؟!!.

فإذا وجب على المرأة ستر قدمها فستر وجهها من باب أولى، فيجوز للرجل أن ينظر إلى الوجه والكفين فقط من المرأة إذا أراد خطبتها على قول جمهور العلماء، وفي ذلك يقول النبيّ ﷺ: «**إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها، إذا كان ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم**» [رواه أحمد]، وقصد الدلالة من الحديث على وجوب الحجاب إنه نفي الإثم عن الخاطب خاصة إذا كان نظره للخطبة، فدل على أن غير الخاطب آثم بالنظر، وكذلك هو إذا كان نظره لغير الخطبة. والمرأة قد تعرف من خلال حجم عظامها، وقد يهب ريح فتتكشف إلى غير ذلك.

فيجب على الرجل أن يغض بصره حتى وإن كانت المرأة



مجلببة، وكان عمر يعرف سودة ﵂ من خلال عظامها، وهي مجلببة، وتروي السيدة أم سلمة ﵂، وتقول: لما انقضت عدتي من أبي سلمة أتاني رسول الله ﷺ فكلمني وبيني وبينه حجاب، فخطب إليّ نفسي .

وتجلببت صفية ﵂ عن النبي ﷺ لما طلقها ، وقبل أن يراجعها، ولما اصطفى النبيّ ﷺ السيدة صفية بعد غزوة خيبر فسترها وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها، ثم شده من تحت رجلها، وتحمل بها وجعلها بمنزلة نسائه، كما أخرجه الشيخان .

والذي يتحصل لنا من مجموع ذلك: أن الحجاب الشرعي الأولى حجاب الأشخاص فى البيوت بالجدر والخدر ويدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾

قال محمد ابن سيرين : ثبت أنه قيل لسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ما لك لا تحجين ولا تعتمرين، كما يفعل أخواتك؟ فقالت قد حججت واعتمرت، وأمرني الله تعالى

أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت . قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت جنازتها .

ويستثنى من ذلك الخروج لحاجة مع التأدب بالآداب الشرعية لقول النبي ﷺ : « **أذن لكن في الخروج لحاجتكن**» [رواه البخاري] .

كما في الخروج للصلاة والتطبب، وسؤال أهل العلم ، وهذه هي الدرجة الثانية أن تخرج المرأة مستورة لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وينبغي عليها إذا خرجت أن تأخذ حواف الطريق، ولا تختلط بالرجال، وتغض بصرها ، وتستأذن وليها أو زوجها في خروجها.

وقد اتفقت مذاهب الفقهاء وجمهور الأئمة على أنه لا يجوز للنساء الشواب[1] كشف الوجوه والأكف بين الأجانب، ويستثنى منه العجائز لقوله تعالى: ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ** ﴾ ، والضرورات مستثناة من الجميع بالإجماع وقد

---

(١) الشواب: الشابات.

نقل ابن رسلان اتفاق المسلمين على وجوب ستر الوجه عند الفتنة، وكثرة الفساق، ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم أن الفتنة مأمونة اليوم فلا يبقى بعد ذلك إلا أن ينزل على أمر الله وأن يقول سمعنا وأطعنا، وأن نعين العباد على طاعة الله حتى وإن كان الأمر مستحبًا فضلاً عن أن يكون واجبًا، ولا يلتفت إلى الأقوال الساقطة التي خالفت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وخالفت أيضًا ما ذهب إليه الأئمة المعتبرين .

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

فهرس